@Tafsircenter

آدم سيلفرستاين
Adam Silverstein

بيان المسخ: تحوُّل اليهود إلى قِرَدة خَاسِئِينَ

الآية ١٦٦ من سورة الأعراف في سياق الشرق الأدني

ترجمة
مصطفى الفقي

www.tafsir.net

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

نبذة تعريفية بآدم سيلفرستاين Adam Silverstein:

حاصل على الدكتوراه في الدراسات الإسلامية في العصور الوسطى من جامعة كامبريدج، عمل كأستاذ للتاريخ الإسلامي في عدد من الجامعات؛ في الكلية الملكية بلندن، وفي جامعة بار إيلان، وكأستاذ دراسات الشرق الأدنى بجامعة أكسفورد.

مهتم بالتاريخ الإسلامي في العصر الوسيط. له عدد من الكتب في هذا السياق؛ منها:

Islamic History: A Very Short Introduction (Oxford: Oxford University Press, 2010).

التاريخ الإسلامي، مقدّمة قصيرة جدًّا.

مقدمة[١]:

يُعَدّ ربط القرآن بالكتب السابقة عليه ودراسته في سياقها مَشْغَل استشراقي قديم منذ جيجر وشباير، حيث قامت دراسة هذه العلاقة في الأغلب على كون القرآن كتابًا متأثرًا أو مستعيرًا من هذه الكتب، إلا أنه في العقود الأخيرة برز الاتجاه لدراسة القرآن في سياق الكتب السابقة بطريقة مغايرة تحاول فهم كيفية حواره معها ومع المجتمعات الدينية لهذا السياق، ومن أجل إعادة ظرف الخطاب لفهم المعنى الذي فهمه السامعون الأوائل للنصّ من هذه المجتمعات.

ومن أهم الأسماء التي تدرس القرآن في سياق الشرق الأدنى بهذه الطريقة الأخيرة، هو آدم سيلفرستاين، حيث يهتم بتسييق القرآن في سياق واسع من المدونات الدينية للشرق الأدنى القديم، وبمحاولة إعادة بناء الفهم المتوقّع لهذه الآيات في هذا السياق.

في هذه الورقة يقدّم سيلفرستاين قراءة في الآية (١٦٦) من سورة الأعراف ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾، بغية الوقوف على الدلالة المقصودة من (المَسْخ) الذي وقع لبني إسرائيل، وهذا عبر تسييق (المَسْخ)

(١) قام بكتابة المقدّمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير.

للحيوان في عدد واسع من مدوّنات الشرق الأدنى القديم، والتي تشمل سفر دانيال ومدراشاته وكتابات يعقوب السروجي وغيرها، كما يدخل في نقاش مع بعض الدراسات الأخرى التي تناولتْ بعض المدوّنات المصرية والهندية عن القرد–الكلب، كما يوسّع سيلفرستاين سياق فعل المَسْخ نفسه ليشمل المسخ الاختياري وأفعال التوبة والنذور، وهذا من أجل الوصول لكون فعل المسخ سواء كان عقابًا أو توبة، هو أمر مفهوم لدى متديّني الشرق الأدنى.

ولا تأتي أهمية تعريب وترجمة هذه الورقة بالنسبة لنا من النتائج والفرضيات التي تحملها وتقدّمها، بل من كونها تكشف عن نمط اشتغال بحثي معاصر آخذ في التنامي والبروز في الدرس الاستشراقي المعاصر للقرآن الكريم، ما يجعلها ملائمة لإِطْلَاع القارئ العربي على هذا النمط ومعرفة أدواته وطريقة معالجته وكيفيات هذه المعالجة، وذلك من أجل توفير أرضية لمثاقفة عربية لمثل هذه الأنماط ومناقشتها وهو الغاية الرئيسة لمقصودنا في ترجمة كتابات الاستشراق حول القرآن الكريم.

الدراسة[١][٢]

مقدمة[٣]:

لاقَت الفكرةُ القرآنية القائلة بأنّ بعض اليهود الذين انتهكوا حُرْمة يوم السبت فعاقبهم الله بمسخهم (قردة) الكثيرَ من الاهتمام على مَرّ القرون. وهذا ليس مفاجئًا: فالفكرة غريبة بطبيعتها (لأسباب مهمّة من بينها أنها تأخذ نظرية النشوء في الاتجاه المعاكس)، وقد حظيتْ بشعبية بين دعاة معاداة السامية[٤]، ويبدو أنها تفتقر إلى سابقة واضحة في الأدبيات اليهو-مسيحية في العصور القديمة المتأخّرة[٥].

---

(١) العنوان الأصلي للمقالة هو:

UNMASKING MASKH: THE TRANSFORMATION OF JEWS INTO "APES, DRIVEN AWAY" (QURʾĀN 7: 166) IN NEAR EASTERN CONTEXT.

وقد نشرت في: JERUSALEM STUDIES IN ARABIC AND ISLAM. عام ٢٠٢٠م.

(٢) مترجم هذه المقالة، مصطفى الفقي، باحث ومترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.

(٣) من دواعي سروري أن تكون هذه الورقة على شرف الأستاذة إيلا لانداو تاسرون Ella Landau-Tasseron، التي ضربت مثالًا ملهمًا كباحثة وزميلة داعمة. كما أودّ أن أشكر كريستوفر ميلشيرت Christopher Melchert ويوري روبين Uri Rubin على تعليقاتهما على مسوّدة هذه الورقة.

(4) Aluma Solnick-Dankowitz, https://www.memri.org/reports/based-koranic-verses-interpretations-and-traditions-muslim-clerics-state-jews-are

(5) E. Segal, "Monkey business" in The Jewish Free Press, Calgary, April 19, 2007, p. 21 .

=

وهكذا عكف الباحثون على مُسَاءَلة أصول هذه الفكرة[١]، ومعناها[٢]، وتداعياتها الفقهية واللاهوتية خلال القرن الماضي[٣]. وربما كان شباير Speyer هو الأكثر تأثيرًا في هذا السياق، حيث شكّلَتْ مناقشتُه المكوّنة من صفحتين حول الأدبيات المدراشية -التي ربما أسهمت في بناء هذه الفكرة- نقطةَ البداية (ونقطة النهاية في بعض الحالات) للباحثين اللاحقين[٤].

يتحدّث القرآن في آيات سورة الأعراف (١٦٣- ١٦٦) عن جماعة من اليهود الذين يعيشون في قرية مشاطئة للبحر أخطؤوا بصيد السمك يوم السبت؛ (لأنه كان اليوم الوحيد في الأسبوع الذي تأتيهم فيه الأسماك شُرَّعًا)، ولهذا السبب عاقبهم الله بمسخهم ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. وفي موضعين آخرين (مدنيّيْن)، تتكرّر الفكرة مرّة أخرى. في موضع منهما، تتكرّر عبارة: ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ كما في

=

يلخّص سيغال -الذي تناول الموضوع من منظور الدراسات اليهودية- المشكلةَ على النحو الآتي: «لسوء الحظّ، لم يتم اكتشاف أيّ نص في جميع الأدبيات الحاخامية القديمة الثرية يتّفق مع الوصف القرآني لليهود الذين اصطادوا السّمَك يوم السبت، أو تحوّلهم إلى قردة وخنازير». وقد اعتراف توري Torrey بالفعل (Jewish foundation, p. 68) بأنه «لا يوجد مصدر هاجادي معروف» لهذه الفكرة.

(1) Lichtenstaedter, "And become ye accursed apes!"

(2) Reynolds, The Qur'an and its biblical subtext, pp. 106-117 ("The transformation of Jews"); and Firestone, "Apes and the Sabbath problem."

(3) Cook, "Ibn Qutayba and the monkeys," pp. 51-58 (on 'Metamorphosis in Islam').

(4) Speyer, Die biblischen Erzählungen im Qoran, pp. 313-314.

الآية (٦٥) من سورة البقرة مع الإشارة إلى المعتدين في يوم السبت، وفي الموضع الآخر (الآية ٦٠ من سورة المائدة) نقرأ فقط: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾. ما يجمع بين المواضع القرآنية الثلاثة هو الإشارة إلى المسخ الحيواني كعقابٍ إلهيّ. ومع ذلك، ولكي نكون على درجة عالية من الدّقة، هناك موضِعَان فقط من المواضع الثلاثة يمكن المقارنة بينهما تمامًا، وهما آيات سورة الأعراف وآيات سورة البقرة، حيث يشتركان في ذِكْر كلٍّ من الخطيئة المرتكَبة (الاعتداء على يوم السبت)، والعقاب المحدّد لذلك (المسخ إلى قردة خاسئين).

حدّد شباير ثلاثة مدراشيم منفصلة يبدو أنها توفّر مصادر لهذه الواقعة، حتى لو لم يتم الجمع بينهم في سردية مُحكمة في عصور ما قبل الإسلام. في مدراش منهم (B. Qiddushin 72a)[1]، تَرِد إشارة إلى جماعة من اليهود البابليين الذين أخطؤوا بالصيد يوم السبت، ولهذا السبب تم إبعادهم من المجتمع اليهودي. وفي مدراش آخر (B. Sanhedrin 109b)، مُسِخَتْ جماعة من الذين أخطؤوا بالمشاركة في تمرّد برج بابل إلى «قِرَدة وأرواح شريرة». والمدراش الثالث الذي يُعتبر ذا صلة بتلك الواقعة هو المدراش الذي يتحدّث

(١) دليل الاختصارات ملحق في ختام الورقة. (المترجم).

عن نهر (سامباتيون)[١] الذي يتدفّق في أيام الأسبوع ما عدا يوم السبت (أو العكس، B. Sanhedrin 65b). كانت مساهمة شباير في النقاش حول تلك الفكرة بالغة التأثير في النقاشات اللاحقة عليه، لدرجة أن فايرستون Firestone أنهى مقالته الأخيرة حول هذه المسألة باقتباس كامل (باللغتين الألمانية والترجمة الإنجليزية) من نقاش شباير للمسألة[٢].

ثمة دراستان مكرّستان لبحث أصول هذه الواقعة قامَتَا بشكلٍ كبيرٍ على أساس نقاشات شباير وتجاوزاتها إلى ما وراء الحدود الأساسية لتلك المدراشيم الثلاثة، وهما الدراستان اللتان نشرهما ليشتنستاتر Lichtenstaedter وروبن Rubin[٣]. ركّزت الدراسة الأولى على العقاب، بينما ركّزت الأخيرة على الخطيئة التي استوجبت العقاب. سعتْ ليشتنستاتر نحو فهم سبب مَسْخ اليهود إلى (قردة)، مبتعِدَة عن المصادر المدراشية التي استشهد بها باحثون سابقون في هذا السياق، ومتّجهة نحو الهند من جهة، ومصر القديمة من جهة

(١) وهو نهر أسطوري، يهدر بالحجارة غالبًا لا الماء، نُفيت وراءه قبائل بني إسرائيل على يد ملك آشور شلمنصر الخامس، ذُكِر في التلمود أنه يتدفّق ويموج خلال أيام الأسبوع بينما يسكن في يوم السبت حيث لا يسمح لقبائل إسرائيل بالعبور. (المترجم).

(2) Firestone, "Apes and the Sabbath problem," pp. 46-48.

(3) Rubin, "Become ye apes repelled!."

أخرى. أشارتْ ليشتنستاتر إلى الإله الهندي القرد (هانومان)[١] باعتباره صاحب تأثير محتمل على البيئة الثقافية لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مجادِلةً بأنّ تجارة التوابل بين الهند والجزيرة العربية سمحت بنوع من الانتقال الثقافي الذي سيؤدّي إلى ظهور تقليد القرود الهندية في القرآن[٢]. وعلى الرغم من أنّ هذه الفرضية ليست مستحيلة، إلا أنه يبدو لي أنه من غير المرجّح بدرجة كبيرة أن يكون مسخ اليهود إلى قِرَدة له صدًى هنديّ لدى جمهور القرآن. وكما تُسَلِّم ليشتنستاتر بنفسها، فإنه لا يوجد دليل على أيٍّ من ذلك: «على الرغم من عدم توثيقها في السجلات التاريخية أو الأدبية، يمكننا المصادرة بوجودها [الأدبيات الهندية في شبه الجزيرة العربية] أو حتى افتراضها. فقد ثبت أن التأثير الهندي على جنوب شبه الجزيرة العربية كان موجودًا منذ أقدم العصور»[٣].

بينما يبدو الخيار المصري الذي تقترحه ليشتنستاتر، وهو القرد برأس كلب الذي يرافق (تحوت) كاتب الآلهة =ذا صلة أكبر؛ خاصّة وأنّ مسارات

(١) بحسب الملحمة السنسكريتية الرامايانا، فإنّ القرد هانومان هو قائد جيش القِرَدة الذي ينتصر للإله راما. وهو إله مقدّس في الهندوسية خلقه براهما في هيئة قرد. (المترجم).

(٢) تترتب هذه الفرضيات في ضوء الطرح الاستشراقي الذي لا يرى وحيانية القرآن بالأساس ويعتبره من تأليف البشر، وعليه يحاول البحث عن جهات التأثير والتأثّر الحاصلة لنصّ القرآن، وهذه فرضيات مخالفة جذريًّا للتصوّر الإسلامي للقرآن الكريم وأنه كلام الله عز وجل. (قسم الترجمات).

(3) Lichtenstaedter, “And become ye accursed apes!,” p. 172

الانتقال الثقافي بين مصر والجزيرة العربية موثّقة بشكل أفضل، ولأنّ هناك أدلة على أنّ شخصية القرد برأس الكلب كانت معروفة في بعض الدوائر المسيحية الشرقية (المرتبطة بالقدّيس كريستوفر)، حيث يمكن أن ترتبط هذه الشخصية – القرود بشكل عام (؟)– بالشيطان. تختتم ليشتنستاتر دراستها المؤثّرة بقوّة بقولها:

«يمكننا أن نؤكِّد بدرجة كبيرة من الثقة أنّ القرد/ البابون كان يمثّل في زمن دعوة محمد، والمجال الديني المحيط به= رمزَ الانحراف والفساد. وهكذا، فإنّ العقوبة المفروضة على مُنْتَهِكِي حُرْمَة يوم السبت كانت في الواقع شديدة للغاية؛ إِذْ لم يتم مَسخهم إلى حيوانات فحسب –كعقاب كافٍ– ولكن بمسخهم قرودًا أو قرود بابون، طُرِدُوا من المجتمع البشري ودخلوا إلى مجال الشيطان، المعادِي لله»[1].

وهكذا، في حين أنّ هذا الدليل «لا جدال فيه» (بحسب عبارة ليشتنستاتر) في هذه الحالة، إلا أنه مثير للاهتمام، وأصيل، وبالتأكيد ليس من السهل رفضه مثل حُجّة تأثير هانومان، الإله القرد الهندي، على الواقعة القرآنية[2].

(1) Ibid., p. 175.

(2) Ibid., p. 164 (“incontrovertible”).

ومع ذلك، ثمة أسباب ثلاثة، من وجهة نظري، تجعل حجاج ليشتنستاتر غير مقنع. **أولًا**، سياق الآيات القرآنية التي تتحدّث عن مَسْخ اليهود قردةً هو سياق (يهودي) بشكلٍ لا لَبْس فيه. وقد خُوطب النبيّ بالقول: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣]، ويتضح من سياق الآية أن الله يشير إلى (اليهود) بالضمير في قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ ﴾. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ هذه الواقعة تتعلّق بعصاة اليهود، الذين اعتدوا على حُرْمة يوم السبت اليهودي، والذين عُوقبوا بسبب ذلك عقابًا إلهيًّا (كما يتلقّى مدنِّسو السبت العقوبة وفقًا للشريعة اليهودية). فلماذا إذن تعتمد العقوبة في هذا السياق اليهودي فجأة على مصادر ثقافية غير يهودية (مسيحية شرقية)؟ **ثانيًا**، فكرة أنّ القرد برأس الكلب يرمز إلى الشيطان في بعض الدوائر المسيحية لا يعني أن هذه الفكرة قد تسلّلَتْ تلقائيًّا إلى القرآن. في الواقع، يوجد في القرآن الكثير مما يمكن قوله عن إبليس/ الشيطان، وهناك الكثير من المراجع التي عالجتْ هذا الموضوع على نحو جادّ[1]. وقد كشفَتْ هذه الدراسات عن العلاقات العديدة بين المعالجة القرآنية لإبليس/ الشيطان والثقافات اليهو-مسيحية، ولكن يبدو أنّ التقاليد التي تتحدّث عن قرد برأس كلب لا تلعب أيّ دور في تصوير القرآن للشيطان. **ثالثًا**،

(١) قائمة الدراسات الحديثة التي عالجت هذا الموضوع طويلة جدًّا بالفعل. ولمطالعة ملخص لبعض التصوير القرآني لإبليس/ الشيطان، ومصادره اليهو-مسيحية، انظر:
Reynolds, The Qur'an and its biblical subtext, pp. 39-63 (and the bibliography thereto).

لماذا يجب أن يكون القرد برأس كلب (قردًا) وليس (كلبًا)؟ في الواقع، تُوصف القردة المذكورة في الآيات القرآنية بأنهم ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾، وفي كلّ معجم عربي كلاسيكي تقريبًا يرجع إلى العصور الوسطى، أول مثال يُعطى لتوضيح معنى الفعل (خسأ) يكون عن (طرد) الكلب[١]. علاوة على ذلك، يُنظر إلى الكلاب على نطاق واسع بوصفها حيوانات نجسة وتحمل دلالة سلبية عمومًا في ثقافات الشرق الأدنى، بما في ذلك الثقافة الإسلامية[٢]. فلماذا، إذا كانت ليشتنستاتر محقّة في حجاجها بشأن القردة ذات رؤوس الكلاب، لم يصف القرآن العقوبة بأنها مسخ إلى كلاب[٣]؟

(١) كما جاء في معجم الجوهري (ت. ١٠٠٢، أو ١٠٠٨) عن مادة [خسأ] (الصحاح، المجلد الأول، ص٥٩) وهو ما يُقتبس على نطاق واسع (كما في لسان العرب وتاج العروس على سبيل المثال)، وهو متاح أونلاين هنا:

http://www.baheth.info/all.jsp?term=%D8%AE%D8%B3%D8%A7

ويمكن مطالعة مسح للمعاجم العربية الكلاسيكية حول مادة (خسأ) هنا:

https://www.maajim.com/dictionary/%D8%AE%D8%B3%D8%A3 .

أيضًا يستهلّ (لسان العرب) (المجلد الأول، ص٦٥) مادة خسأ كما يأتي: «الخاسِئُ من الكِلاب والخَنازِير والشياطين البعِيدُ الذي لا يُتْرَكُ أَن يَدْنُوَ من الإِنسانِ، والخاسِئُ المَطْرُود».

(٢) في الواقع، وبحسب التقاليد التي حفظها لنا الجاحظ، فإنّ الكلاب كائنات ممسوخة.

(Kitāb al-ḥayawān, vol. 1, pp. 222, 292, 297 and 308).

(٣) بالإضافة إلى هذا الاشتباك النقدي للكاتب مع حجاج ليشتنستاتر، يبدو أيضًا أنّ هذه الصلة المصرية المقترحة غير دقيقة موضوعيًّا. فبحسب النصّ الذي تقترحه ليشتنستاتر نفسها، يرافق القرد برأس كلب =

حتى لو اعتبرنا حجاجها غير مقنع في النهاية، فقد وسّعت ليشتنستاتر بالتأكيد نطاق البحث، مما جعلنا نتجاوز نطاق بحث شباير في المدراشيم اليهودية، والتي أُعيد تدويرها لفترة طويلة دون أدنى مساءَلة. في هذه الورقة، سأحذو حذو ليشتنستاتر (وإن لم أقدّم نفس أدلّتها)، وسأحاول توسيع إطار البحث إلى حَدٍّ كبير، وإظهار أنه بالنسبة إلى أتباع الديانات التوحيدية في الشرق الأدنى عشية ظهور الإسلام، فإنّ مسخ الإله للعصاة إلى «حيوانات مطرودة» كان له صدى قويّ.

قبل الشروع في مناقشة الأدلّة، تستحق دراسة روبن الأخيرة في هذا الموضوع أن نعرّج عليها. بناءً على دراسة سابقة لهيرشفيلد Hirschfeld[1]، أظهر روبن بشكلٍ مقنع أنّ الخطيئة التي عُوقب بسببها اليهود في القرآن تُشِير إلى الواقعة المذكورة في سفر العدد ١١: ١٩- ٢٠، حيث اشتكى بنو إسرائيل من أكل المنّ الذي أرسله اللهُ إليهم؛ ولهذا السبب عاقبهم بإطعامهم لحمًا كثيرًا لمدة ثلاثين يومًا، حتى خرج اللحم من أنوفهم وصار (مَقْرِفًا) لهم. وفي الإصحاح السادس عشر من سفر الخروج، تتضمّن قصة المَنّ والسلوى شرطًا

=

تحوت كاتب الآلهة، أيْ أنه ينتمي إلى المجال الإلهي وليس رمزًا للفساد أو الانحراف، فضلًا عن الدور الإيجابي الذي حظيتْ به القردة في مصر القديمة عمومًا. (المترجم).

(١) Hirschfeld, New researches, p. 108.

على بني إسرائيل بألّا يجمعوا المنّ والسلوى في يوم السبت، ومع ذلك فقد عصَتْ جماعة منهم اللهَ وجمعوه. بالإضافة إلى ذلك، وكما أوضح روبن بذكاء، فإنّ السياق القرآني الذي تظهر فيه مسألة مَسْخ اليهود إلى قِرَدة يشير بوضوح إلى صلات بقصة المنّ والسلوى. وهكذا، جمعت جماعة من اليهود المنّ من الماء يوم السبت، وعُوقِبوا جسديًّا بعواقب (كريهة).

قام روبن بحشد المواد الترجومية والمدراشية القديمة التي تشرح معنى «كريه» (le- zārā)، موضحًا أنّ معاني من قَبِيل الإسهال والغثيان والتقيؤ والخناق تم تداولها عشيّة ظهور الإسلام(١). وعلى هذا الأساس، يجادل روبن، بأنّ الإسرائيليين الذين انتهكوا حُرْمَة السبت عُوقِبوا بـ«عواقب جسدية كريهة»، وقد عرفتْ هذه الأمثلة طريقها إلى الواقعة القرآنية المذكورة في آيات سورة الأعراف (١٦٣- ١٦٦). وعلى حدّ تعبيره: «أمّا القرآن أيضًا، فقد عاقب الخطاة المتهورين بإنزال عواقب جسدية كريهة بهم، لا تقلّ كرهًا عن الإسهال ونحوه. لقد مُسِخُوا قردةً»(٢).

---

(١) أودّ أن أضيف إلى هذه القائمة الترجمة السبعينية لسفر العدد ٢٠: ١١ التي تترجم كلمة le-zārā: (كوليرا). وحول هذه المسألة، انظر: Emanuel, From bards to Biblical exegetes, p. 147 n. 128.

(٢) Rubin, "Become ye apes repelled!," pp. 32-33. من وجهة نظري، حُجّة روبن التي تفترض أن المَسْخ إلى قردة هو ببساطة نوع آخر من أنواع الظواهر الجسدية الكريهة التي اختار القرآن أن يستبدل بها الإسهال والغثيان والقيء والكوليرا في التفسير اليهو-مسيحي هي الحُجّة الأضعف. وكما يشير روبن، هناك =

في حين انصبّ التركيز دائمًا على كلمة (قردة)، فإنّ نَعْت ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾ لا يقلّ أهمية من حيث كونه دليلًا للكشف عن أصداء الواقعة. وهنا أيضًا، تعتبر مساهمة روبن مهمّة؛ لأنه الباحث الوحيد تقريبًا الذي أبدى اهتمامًا جادًّا بهذا الشطر من المعادلة. يوضح روبن أنّ كلمة: «خاسئين» (التي يرى أنها تعني «منفِّرين») مرتبطة أيضًا بالتفسير القديم لمصطلح (le- zārā)، حيث يحدث نوع من التورية بين كلمتي (le- zārā) و(le- zārīm) بمعنى (غرباء) أو (مبعدين) عن خيمة الاجتماع. بعبارة روبن: «لذلك، يبدو أنّ النعت القرآني للعُصاة الممسوخين بأنهم (منفِّرون) قد أبقى على التفسير المدراشي للكلمة التوراتية zārā بمعنى zārīm، أي: (المنبوذين) وخلطها مع تفسير كلمة: zārā كنوع من الابتلاء الجسدي»[1].

=

تقليد مدراشي يعود إلى سفر اللاويين رابا يستخدم الجذر اللغوي (ق، ر، د) مع الإشارة إلى التقيؤ كعقاب لليهود المخطئين، ولكن هذه الكلمة تغيب عن المخطوطات القديمة، ونجدها فقط في النسخة المطبوعة من المدراش التي تعود إلى أوائل القرن السادس عشر (ibid., p. 33 n. 17). ومع ذلك، في شرحه لكيفية اختيار (القردة) لتحلّ محلّ المضايقات الجسدية، يعتمد روبن على تقليد مذكور في مدراش تنهومة، حيث يتم تصوير القرود على أنها حيوانات مفرطة في التلذّذ، على الرغم من أنّ هذا المصدر أيضًا يعود إلى حقبة ما بعد ظهور الإسلام. بالإضافة إلى ذلك، لا يتحدّث المدراش في هذه النقطة عن الإفراط في الأكل، بل عن الإفراط في تناول المشروبات [الكحولية]، وهو ما يشكّل اختلافًا كبيرًا بين السياقات.

(1) Ibid., pp. 33-34.

فيما يأتي، لن أقدّم إجابة نهائية واضحة لأصول واقعة المسخ. بل سأحاول توضيح السياق الثقافي الذي يجب من خلاله فهم تحويل اليهود إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. سأجادل بأنّ اليهود والمسيحيين كانوا مدرِكين جيدًا لفكرة أن الله يمكن أن يعاقب العصاة منهم بالمسخ والطّرد. في سبيل توضيح ذلك، سوف نناقش مصادر مثل ملحمة جلجامش، وصلاة نابونيدوس، وسفر دانيال (النصّ الماسوري ونُسَخه اليونانية القديمة أيضًا)، والكتابات المدراشية لسفر إستير، وموعظة يعقوب السروجي حول الإصحاح الرابع من سفر دانيال، وهي مصادر لم تناقش حتى الآن في تسييق هذه الواقعة القرآنية. كما سنتعرض أيضًا لموضوعات أخرى في تاريخ الشرق الأدنى مثل طقوس الحداد، وعهود النذر، والرهبنة البدائية السورية، وهي موضوعات، جنبًا إلى جنب مع المصادر التي سيتم مناقشتها، توسع نطاق بحثنا من ناحية، بينما لا تزال تقصر تركيزنا على مواضيع ومواد الشرق الأدنى من ناحية أخرى.

١ - القراءة الأكادية:

قبل التعرّف على السياق الثقافي لفكرة أنّ العُصاة يمكن أن يعاقَبوا بالمسخ والطرد، يجدر بنا أن نؤكِّد أولًا أنّ هذا هو في الواقع ما تعنيه عبارة: ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. فباستثناء قراءة هيرشفيلد، الذي اقترح أن كلمة (قردة) ما هي إلا قراءة خاطئة لكلمة (قراد)، لم يشِر أيّ بحث جادّ آخر في هذه العبارة إلى أنّ كلمة (قردة) تعني أيّ شيء آخر غير (القرود). وهذا على الرغم من الحقائق الآتية: ١- صيغة المفرد (قِرْد) تُجمع عادة على وزن فُعُول (قرُود)، كما في غيرها من صيغ (فِعْل) الصرفية (مثل: عِلْم، وتُجمع على "عُلوم"، وجِلْد وتجمع على "جُلود"). ٢- عقوبة العصاة المذكورين في سفر العدد ١١: ١٩-٢٠ كانت عبارة عن إلحاق «ضرر جسدي كريه» بهم -مثل الإسهال أو الغثيان أو التقيؤ أو الكوليرا- وليس مسخهم. لطالما كان معروفًا منذ أمدٍ طويل أنّ فكّ بعض الألغاز المعجمية القرآنية قد يأتي من الاستعانة بالأكادية[١]، وفي هذه الحالة أيضًا، مازال مثل هذا الخيار قائمًا؛ فالصفة الأكادية (قورُّدو) qurrudu (وجذرها اللغوي: ق، ر، د) تعني «تساقط خصلات الشَّعْر»[٢]. تتناثر الألفاظ

(١) Jeffrey, Foreign vocabulary, p. 298، حيث يذكر قائمة بحوالي ستين كلمة أكادية تساعد في فهم المفردات القرآنية. ومن أجلِ مطالعة إضافات حديثة لهذه القائمة، انظر: Silverstein, "Original meaning".

(2) Chicago dictionary of Assyriology, vol. q, p. 319, s.v. 'qurrudu'.

الأكادية في القرآن أكثر بكثير من أساطير القرود الهندية. على سبيل المثال، ومن الممكن أن تشير كلمة (قردة) إلى اليهود الذين عُوقبوا بتساقط خصلات شَعرهم وطردهم[١].

سوف نناقش أدناه (في القسم الرابع) مركزية «الشِّعْر» في السياق الثقافي للواقعة القرآنية. ومع ذلك، سننتقل في الوقت الحالي إلى الافتراض القائل بأنّ كلمة (قردة) تُشِير بالفعل إلى المَسْخ (على هيئة قرود)؛ لأن التقليد التفسيري برمّته يفترض أنّ هذا هو المعنى المقصود، ولأنّ المسخ والطّرد، كما سنرى فيما بعد، كانا مألوفَيْن كعقاب إلهيّ في تقاليد الشرق الأدنى[٢][٣].

---

(١) يُعَدّ البحث في جذور الكلمات القرآنية في اللغات القديمة ومحاولة فهمها في هذا الإطار إحدى العادات في الطّرح الاستشراقي، ويجري في ضوئه أحيانًا ترتيب افتراضات غاية في البُعْد لمعاني مفردات القرآن وغاية في الغَرابة في كثير من الأحيان. وبِغَضّ النظر عن نقاش معنى الآيات التي تعالج مسألة المسخ للقردة والخنازير، إلا أنّ تجاهل النظر في دلالات ألفاظ القرآن من خلال إطار اللغة العربية لا يمكن أن يكون طريقًا مُوصلًا لفهم معاني القرآن بطريقة صحيحة ومنضبطة، بل العكس من ذلك تمامًا. (قسم الترجمات).

(٢) تبدو الحقيقة القائلة بأن الآية (٦٠) من سورة المائدة والتي تتحدّث عن المسخ إلى (قردة وخنازير) تزيد من احتمالية أن يكون المسخ هو المعنى المقصود، على الرغم من أن الإشارة اللاحقة إلى {عَبَد الطّاغُوت} تضعف هذه الفرضية.

(٣) اختُلف في شأن المسخ المُشار إليه في القرآن؛ فذهب الجمهور إلى وقوعه حقيقية، وذهب مجاهد إلى خلاف ذلك، وأنه مسخ عقول لا ذوات، يقول ابن عاشور: «وقوله: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ =

أحد الشخصيات الأكادية التي ارتبطت بالجزيرة العربية[١] هو ملك الإمبراطورية البابلية الحديثة نابونيدوس (حكم: ٥٥٦- ٥٣٩ ق.م) ، وهو أحد أتباع إله القمر «سين»، ومركزه حران (على عكس إله الأسرة الحاكمة مردوخ الذي كان مركزه بابل). وقد أدّى ارتباط نابونيدوس بهذه البدعة الدينية إلى تخليه عن بابل ورحيله إلى تيماء، حيث أمضى عشر سنوات في منفاه

=

كونوا أمر تكوين، والقردة -بكسر القاف وفتح الراء- جمع قرد، وتكوينهم قردة يحتمل أن يكون بتصيير أجسامهم أجسام قِردة مع بقاء الإدراك الإنساني، وهذا قول جمهور العلماء والمفسِّرين، ويحتمل أن يكون بتصيير عقولهم كعقول القِردة مع بقاء الهيكل الإنساني، وهذا قول مجاهد. والعبرة حاصلة على كِلَا الاعتبارين، والأول أظهر في العبرة؛ لأن فيه اعتبارهم بأنفسهم واعتبار الناس بهم بخلاف الثاني، والثاني أقرب للتاريخ؛ إذ لم يُنقل مسخ في كتب تاريخ العبرانيين، والقدرة صالحة للأمرَيْن والكلّ معجزة للشريعة أو لداود، ولذلك قال الفخر: ليس قول مجاهد ببعيد جدًّا، لكنه خلاف الظاهر من الآية وليس الآية صريحة في المسخ. ومعنى كونهم قِردة أنهم لما لم يتلقّوا الشريعة بفهم مقاصدها ومعانيها وأخذوا بصورة الألفاظ فقد أشبهوا العجماوات في وقوفها عند المحسوسات فلم يتميّزوا عن العجماوات إلا بالشكل الإنساني وهذه القردة تشاركهم في هذا الشبه، وهذا معنى قول مجاهد هو مسخ قلوب لا مسخ ذوات. ثم إنّ القائلين بوقوع المسخ في الأجسام اتفقوا أو كادوا على أن الممسوخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام وأنه لا يتناسل». التحرير والتنوير (١/ ٥٤٤-٥٤٥). (قسم الترجمات).

(١) تزخر منطقة تيماء في المملكة العربية السعودية بالنقوش الثمودية المكتشفة حديثًا التي تتحدث عن الوجود البابلي في المنطقة. انظر على سبيل المثال:

https://twitter.com/aqlaalrbeah/status/1293867413197520896?s=28. (المترجم).

الاختياري، وترك ابنه بيلشاصر ملكًا على بابل بدلًا منه. وهذه الفترة المتعلّقة بمدة إقامته في تيماء هي التي تهمنا هنا.

٢/ ١ - نابونيدوس في تيماء[١]:

كان إخلاص نابونيدوس لإله القمر معروفًا للغاية، سواء من خلال مقولاته هو أو مقولات منتقِديه[٢]. بينما رأى هو أنّ المدّة التي قضاها في شبه الجزيرة العربية كانت أمرًا إلهيًّا، فقد ترك لنا منتقدوه مصادر توضّح أنه اعتُبِر مجنونًا. كان التخلّي عن كلٍّ من بابل ومردوخ لصالح العيش في البرّية (الجزيرة العربية) والهرطقة (عبادة القمر) أمرًا غير مسبوق، وأصبحت هذه الواقعة أسطورية في الشرق الأدنى، بالإضافة إلى إعادة روايتها يهوديًّا بعد أنْ عاودت الظهور في لفائف البحر الميت.

---

(١) ثمّة ملخص وتسييق حديث لهذه الواقعة تجده في:

Livingstone, “Taimāʾ and Nabonidus: it’s a small world ”.

(٢) تم جمع المصادر وتحليلها بشكل جيد في:

(Schaudig, Die Inschriften Nabonids von Babylon und Kyros’ des Großen) .

نعثر على وجهة نظر نابونيدوس في فترة المنفى هذه في شبه الجزيرة العربية في لوحة حران (ibid., pp. 486-99). بحسب هذا المصدر، شهدت بابل تمردًا واختبأ لمدة عشر سنوات بأمر من إله القمر (col. 1, ll. 22-26)؛ «لقد دفعني (الإله سين) إلى الفرار من مدينتي بابل...». بينما نجد الروايات المناهضة لنابونيد، على سبيل المثال، في «شعر حكاية نابونيدوس»، الذي أنتجه الأخمينيون الأوائل الذين حلّوا محلّ سلالة نابونيدوس الإمبراطورية البابلية الحديثة (ibid., pp. 563-578). يصف هذا المصدر نابونيدوس بأنه «مجنون» (السطر الرابع يقول: «الملك مجنون»). ويمكن مراجعة ترجمة إنجليزية أنجزها أ.ل.أوبنهايم في: Pritchard, Ancient Near Eastern texts, pp. 312-315.

يعيد النصّ 4QPrNab (أو Q2424)[١]، الذي يرجع تاريخه إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، تصوير منفى نابونيدوس على النحو الآتي:

«كلمات الصلاة التي صلّاها نابونيدوس ملك بابل، حيث صلّى الملك العظيم عندما ابتُلي بعلّةٍ خبيثة (بالآرامية: ʾ- sh- ʾ b- n- ḥ- sh-) بأمر من الله في تيماء قائلًا: أنا نبونيد، ابتُليتُ بعِلّة خبيثة لمدة سبع سنوات، ومنذ أن [«أصبحتُ كالحيوان»، أو «طُرِدْتُ بعيدًا عن الرجال»، صلّيت إلى الآلهة][٢] وغفر لي المستنبئ خطاياي. لقد كان يهوديًّا [من المنفيين وقال]: نادوا واكتبوا بتعظيم وتمجيد اسم الرب [العلي]، وكتبتُ ما يلي: لقد أُصِبتُ بمرض خبيث في تيماء [بقضاء من الله العليّ]. ولمدة سبع سنوات، كنتُ أصلّي لآلهة الفضة والذهب [والنحاس والحديد] والخشب والحجر والطين؛ لأنني اعتقدتُ أنهم آلهة... [جزء مفقود]».

---

(١) النصّ الآرامي مع ترجمته الإنجليزية تجده متاحًا في:

Flint, "The Daniel tradition at Qumran (2001)," pp. 335ff. See also the discussion in idem, "The Daniel tradition at Qumran (1997)," pp. 55ff.

(٢) هذه الجملة أُعيد بناؤها في (شذرات من صلاة نابونيدوس) من أجل المواءمة بين النصّ وآية سفر دانيال ٥: ٢١ «وصار مجنونًا يتصرّف كالحيوانات». ومع ذلك، لا يحدث المسخ في النصّ نفسه، ويجب اعتبار إعادة البناء هذه مؤقتة -وربما يتم فرض وجودها من خلال افتراض أن النصّ مرتبط بسفر دانيال، مع العبارة الأخرى «طُرِدْتُ بعيدًا عن الرجال»- تعكس جانبًا آخر من جوانب مسخ نبوخذ نصر، وهو أنه نُفي بعيدًا عن المجتمع البشري. وهذا الخيار الأخير مقترح في:

Pritchard, The ancient Near East, pp. 108-112.

هـذه الخلاصـة المجملـة لفـترة حيـاة نابونيـدوس في تيمـاء وثيقـة الصِّـلَة بأغراضـنا مـن عـدّة أوجـه. **أولًا**، نـرى الآن أنّ مـدة إقامـة نابونيـدوس في شـبه الجزيرة العربية تقلّصت من عشر سنوات إلى سبع سنوات، وسنعود إلى هـذا النقاش بعد قليل في مناقشتنا لسفر دانيال ٤. **ثانيًا**، كان نابونيـدوس «مصـابًا بعلّـةٍ خبيثة» و«مطرودًا بعيدًا عن الرجال» (بحسب إحدى صياغات إعادة بناء النصّ) أو كالحيوان (بحسب صياغة أخرى). وهذا يعني أنه كـان مصـابًا بمـرض كَرِيـه، و«طُرِدَ» / مُسِخ حيوانًا. **ثالثًا**، السبب المعلَن لنفي نابونيدوس ومرضه هو أنهما كانـا جـزءًا مـن عقـاب إلهـيّ: إِذْ يُنسـب كلاهمـا إلـى «قضـاء الله»، وكلاهمـا تـم تخفيفه بمجرّد أن «صلّى إلى الله العليّ» بناءً على نصيحة رجل يهودي منفيّ من يهوذا[(١)]. ومن المثير للاهتمام أن الكلمة الآرامية المقابلة لمعنى «علّةٍ خبيثة» وهي sh- ḥ- n- ʾ b- ʾ- sh- ʾ، تُعيد إلى أذهاننا التعبير القرآني في الآية (١٦٥) من

(١) وجود اليهود في تيماء أثناء مدّة إقامة نابونيدوس هناك ليس مستحيلًا بالطبع، فقد اتسمَت كلٌّ من تيماء وخيبر المجاورة بالوجود اليهودي في القرون التي سبقت ظهور الإسلام. وليس أشهَر من الشاعر اليهودي السَّمَوْأل بن عادياء ممن عاشوا في تيماء، وقد أشار شاعر عربي قديم آخر إلى المدينة باسم «تيماء اليهود» (ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد: ١، ص٦٧). لقد جُودل بأنّ اليهود جاؤوا إلى شبه الجزيرة العربية كجزء من جيش بقيادة نابونيدوس، وهي حُجّة جذّابة ومتكرّرة، ولكن من المستحيل إثباتها في غياب الأدلة (see, e.g., Adang, Muslim writers, p. 1 n. 2). تم اقتراح هذه الفرضية لأول مرة في أوائل القرن العشرين (see, e.g., Torrey, Jewish foundations, pp. 10ff.; reinforced by Gadd, "The Harran inscriptions of Nabonidus").

سورة الأعراف، حيث يحيق «العذاب البئيس» باليهود المعتدين على يوم السبت قبل أن يُمسخوا إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾.

نظرًا لأنّ تاريخه يرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد، فإن هذا النصّ يستعيد أحداثًا تعود إلى ما قبل ٤٠٠ عام تقريبًا. ومن الواضح أن المنفَى العربي لنبونيد استمر في إثارة الاهتمام والتأثير على ثقافة الشرق الأدنى بعد فترة طويلة من وقوع الحدث، واستمرّت ذكرى هذه الواقعة لعدّة قرون بعد ذلك: في كلٍّ من تاريخ الطبري، وقصص الأنبياء للثعلبي، يَرِد ذِكْر جنون آخر ملوك الإمبراطورية البابلية الحديثة، ويشير الطبري في هذه الحالة إلى ابنه بيلشاصر الذي حكم بابل بدلًا عن نابونيدوس عندما كان هذا الأخير في شبه الجزيرة العربية. يلخّص الطبري القصة بإيجاز: «لمّا ملك بلتشاصر خلطَ في أمره، فعزله بهمن وملّكَ مكانه على بابل داريوس الميدي»[1]. على نحو غير دقيق، يصوّر هذا المنظور المؤيد للأخمينية (والمناهض للبابليين)، والذي بموجبه تنحّت السلالة البابلية الجديدة عن الحكم لصالح الحكم الفارسي بسبب جنون الحاكم الأخير، عملية انتقال السلطة إلى الأخمينيين بوصفها عملية جرت بسلاسة.

(1) Al-Ṭabarī, Taʾrīkh, vol. 1, p. 652 (Perlman trans. p. 49.

ثمة رواية معروفة ومؤيدة للبابليين بشكلٍ واضح، تم حفظها في سفر دانيال حيث يتم سرد -بحسب شبه إجماع بين الباحثين[١]- قصة ارتحال نابونيد إلى المنفى، وإن كان ذلك يتم بالإشارة إلى (نبوخذ نصر).

(١) العلاقة الدقيقة بين القصتين محكومة بآراء أكاديمية مختلفة، ولكن حقيقة أنهما مرتبطان أصبحت الآن غير قابلة للنقاش على الإطلاق بشكل عام، باستثناء بين أولئك الملزمين لاهوتيًّا بقراءة نص الكتاب المقدس بطريقة حرفية. ويعتبر فيرجسون Ferguson أحد الدعاة البارزين لهذا التوجه الأخير (Nebuchadnezzar, Gilgamesh, and the 'Babylonian Job'," pp. 321-323") حيث يجادل بأن واقعة جنون نبوخذ نصر تتفق مع الأحداث التاريخية الفعلية في عهده دون الحاجة إلى العودة إلى قصة نابونيدوس.

٢/ ٢- نبوخذ نصر في سفر دانيال ٤:

يُعتقد عمومًا أن نسخة النصّ الماسوري (MT) لسفر دانيال يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. ينقسم سفر دانيال بشكلٍ عام إلى قسمَيْن، يحتوي القسم الأول (الإصحاحات ١- ٦) على روايات بابلية نجح فيها الأبطال اليهود في أرض المنفى، بينما تحتوي الإصحاحات (٧- ١٢) على رؤى أبوكاليبسية تُنسب إلى دانيال[١]. يرتكز تأريخ سفر دانيال في القرن الثاني ككلّ على أساس إشارات واردة في النصف الثاني من السفر، بينما يؤمن الباحثون بأنّ الأساطير الواردة في النصف الأول (الإصحاحات ١- ٦) تستند إلى مواد أقدم كثيرًا. يصف الإصحاح الرابع من سفر دانيال كيف أن نبوخذ نصر رأى حُلْمًا أخافه، ولهذا السبب استدعى حكماءه، وروى لهم الحُلم، وطلب منهم تفسيرًا. ولكنهم فشلوا في تأويله، فأحضر الملك دانيال أمامه ليفسّر له الحلم. يوصف الحلم على النحو الآتي (الآيات ٥- ١٧):

«٥ : ٤ رأيتُ حُلمًا فروّعني والأفكار على فراشي ورؤى رأسي أفزعتني.

٤ : ٦ فصدر منّي أمر بإحضار جميع حكماء بابل قدّامِي ليعرِّفوني بتعبير الحلم.

(١) Collins, Daniel, pp. 35-37 (on the dating of Daniel as a whole and on the relative dates for chapters 1-6 (Persian period) and 7-12 (Seleucid period).

٤ : ٧ حينئذ حضر المجوس والسحرة والكلدانيون والمنجّمون، وقصصتُ الحلم عليهم فلم يعرِّفوني بتعبيره.

٤ : ٨ أخيرًا دخل قدّامي دانيال الذي اسمه بلطشاصر كاسمِ إلهيّ والذي فيه روح الآلهة القدوسين، فقصصتُ الحلم قدّامه.

٤ : ٩ يا بلطشاصر كبير المجوس من حيث أنّي أعلم أنّ فيك روح الآلهة القدوسين ولا يعسر عليك سرّ، فأخبرني برؤى حلمي الذي رأيته وبتعبيره.

٤ : ١٠ فرؤى رأسي على فراشي هي أني كنت أرى فإذا بشجرة في وسط الأرض وطولها عظيم.

٤ : ١١ فكبرت الشجرة وقويت فبلغ علوّها إلى السماء ومنظرها إلى أقصى كلّ الأرض.

٤ : ١٢ أوراقها جميلة وثمرها كثير وفيها طعام للجميع وتحتها استظلّ حيوان البر وفي أغصانها سكنت طيور السماء وطعم منها كلُّ البشر.

٤ : ١٣ كنت أرى في رؤى رأسي على فراشي وإذا بساهر وقدوس نزل من السماء.

٤ : ١٤ فصرخ بشدّة وقال هكذا اقطعوا الشجرة واقضبوا أغصانها وانثروا أوراقها وابذروا ثمرها ليهرب الحيوان من تحتها والطيور من أغصانها.

٤ : ١٥ ولكن اتركوا ساق أصلها في الأرض بقيد من حديد ونحاس في عشب الحقل وليبتلّ بندى السماء وليكن نصيبه مع الحيوان في عشب الحقل.

٤ : ١٦ ليتغير قلبه عن الإنسانية وليعط قلب حيوان ولتمضِ عليه سبعة أزمنة.

٤ : ١٧ هذا الأمر بقضاء الساهرين والحكم بكلمة القدوسين لكي تعلم الأحياء أن العلي متسلّط في مملكة الناس فيعطيها من يشاء وينصب عليها أدنى الناس»[(١)].

بعد أن تحيّر دانيال لبعض الوقت، أفصح عن تأويل الحُلم بأنّ نبوخذ نصر هو نفسه «الشجرة الكبيرة القوية التي رأيتها، ووصل ارتفاعها إلى السماء، حتى كانت مرئية من أقاصي الأرض» (آية: ١٩). وهكذا، يتابع دانيال تأويل الحلم كما يأتي (الآيات ٢٤- ٢٥):

«فيا سيدي الملك، هذا هو تفسير ما قاله المراقب في الحلم: هذا هو الحكم الذي أصدره الله العليّ على سيدي الملك: سيطردونك من بين الناس، وستعيش بين الحيوانات البرّية وستأكل العشب كالبقر، وستبتلّ بندى السماء،

(١) Translations from the Hebrew Bible are adapted from The Jewish Publication Society Bible.

وستمرّ عليك سبعة مواسم قبل أن يعود إليك عقلك وتعرف أن الله العليّ يحكم على مملكة البشر، وهو يعطيها لمن يشاء».

ثمّ يوصي دانيال الملك بأن يكفّر عن خطاياه بالإحسان إلى الفقراء، وهو ما أعرض عنه نبوخذ نصر. وبعد أن تفكّر في نصيحة دانيال لمدة عام، تصف (الآيات ٢٩- ٣٣) ردّ فعل الملك والعواقب التي تحمّلها:

«فبعد اثني عشر شهرًا، كان الملك يتمشّى على سطح قصره، حين قال: (هذه هي بابل المدينة العظيمة التي بنيتُها بقوّتي لتصير عاصمة مملكتي ولأُظهِر مجدي!). وبينما كان لا يزال يتكلّم بهذه الكلمات، جاء صوت من السماء يقول: (اسمع ما سيحدث لك أيها الملك نبوخذ نصر: ستُنزَعُ مملكتك منك. وستُطْرَدُ من بين الناس لتعيش بين الحيوانات البرّية، وستأكل العشب كالبقر، وستمرّ عليك سبعة مواسم قبل أن تعود إلى عقلك وتعرف أن الله العليّ يحكم على مملكة البشر، وهو يعطيها لمن يشاء). وفور انتهاء هذه الرسالة، طُرِدَ نبوخذ نصر من بين الناس، وصار مجنونًا، وبدأ يأكل العشب كالبقر، وابتلّ جسده بندى السماء؛ طال شَعرُه وتلبَّد حتى صار مثل ريش النسر، وطالت أظافره حتى صارت كمخالب الطيور».

بعد سبع سنوات من العيش في هذه الحالة، قَبِل نبوخذ نصر سيادة الله، وأُعيد إلى حالته السابقة (كإنسان) ومكانته (كحاكم للإمبراطورية البابلية).

كما هي الحال مع «صلاة نابونيدوس» المذكورة في لفائف قمران، يتحدّث سفر دانيال ٤ عن فترة سبع سنوات من «الطرد» (بدلًا من مدّة عشر سنوات من إقامة نابونيدوس في تيماء)، ويصف النفي اليهودي بأنّ له دورًا فعّالًا في إعادة تأهيل الحاكم بنجاح. إنّ كون الحاكم المعنيّ هنا هو نبوخذ نصر وليس نابونيدوس يثبت أنّ فكرة عقاب الحاكم إلهيًّا عن طريق الطّرْد والمسخ كانت قابلة للتناقل. الجدير بالذِّكْر أنه على الرغم من أنّ الحاكم في «صلاة نابونيدوس» عوقب بالطرد والإصابة «بعِلّة خبيثة»، فقد تم استبدال عقوبة المسخ المذكورة في سفر دانيال بعقوبة العِلّة الخبيثة[1]. يدعم هذا التحوّلُ بين العلّة الجسدية والمسخ اقتراحَ روبن القائل بأنّ «العواقب الجسدية الكريهة» يمكن إعادة تصوُّرها كمسخ.

وهكذا، يقدِّم الإصحاح الرابع من سفر دانيال مثالًا للعقاب الإلهي الذي يستلزم المسخ والطرد («ستُطرَدُ من بين الناس لتعيش بين الحيوانات البرّية»، كما تقول الآية ٣٢ تحديدًا). بالإضافة إلى ذلك، فإنّ المصطلح الآرامي

(١) كما رأينا، في «صلاة نابونيدوس»، أعاد كروس سدّ الفجوة بالإشارة إلى المسخ، معتمدًا على اقتباس من سفر دانيال. وهذا القرار ليس صحيحًا فحسب، ولكن في سفر دانيال أيضًا، يُذكر المسخ صراحة ويحلّ محلّ «العلة الخبيثة»، بدلًا من كونه عقوبة مكملة. على أية حال، يذكر سفر دانيال العقوبتين بلا شك: الطرد والمسخ، بِغَضّ النظر عمّا إذا كانت «صلاة نابونيدوس» تقدّم مثالًا آخر على العقوبة تعود إلى فترة الهيكل الثاني.

المقابل لعبارة: «ستُطْرَدُ من بين الناس» (دانيال ٢٥: ٤، ٣٢، ٣٣) مشتقّ من الجذر اللغوي (ط، ر، د)، وهو الفعل الأكثر شيوعًا في استخدامات المعاجم العربية الكلاسيكية للتعريف بمادة (خسأ)[١].

ما هي الخطيئة التي عُوقب عليها نبوخذ نصر في سفر دانيال؟ يشير النصّ ذاته إلى أنّ استكبار الحاكم، برفضه الاعتراف بسيادة الله، هو الذي أدى إلى هذا المأزق، تمامًا كما أنّ الاعتراف بالسيادة الإلهية يمكن أن يعكس الموقف لصالحه[٢]. ومن المثير للاهتمام أنّ التفسيرات القديمة لهذه القصة تشير تحديدًا إلى نوع الاستكبار المذكور في قصة «برج بابل» (سفر التكوين ١١: ١-٩). فعلى الرغم من تسميته الشائعة بـ«برج بابل»، فإنّ الواقعة الأخيرة تعطي أهمية متساوية لمؤامرتَيْن خطّط لهما الجيل الآثم في القصة، وهما: بناء مدينة وبرج. كما يقول سفر التكوين (١١: ٤-٥):

(١) يمكن مطالعة مسح للمعاجم العربية الكلاسيكية حول مادة (خسأ) هنا:
https://www.maajim.com/dictionary/%D8%AE%D8%B3%D8%A3 .
(انظر حاشية رقم: ٢، ص٨. حيث يرادف «لسان العرب» بين الخاسِئ والمطرود).

(٢) على العكس من ذلك، تشير نصيحة دانيال للملك بالإحسان إلى الفقراء (الآية ٢٧) إلى أنّ غضّ الطرف عن الضعفاء هو ما أغضب الله.

«ثمّ قالوا: (لنبنِ لنا مدينةً وبرجًا تصل قمّته إلى السماء. وهكذا نكتسب شهرة، وإلا فإننا سنتشتت على وجه الأرض). ونزل الله ليرى المدينة والبرج اللذَيْن بناهما الناس».

كما رأينا، في سفر دانيال ٢٩: ٤، فإنّ آخر ما نطق به نبوخذ نصر قبل أن يمسخه اللهُ ويطرده هو التباهي بمجده الذي يتجلّى في المدينة التي بناها. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الحُلْم الذي فسّره له دانيال يصف الملك بأنه شجرة «وصل ارتفاعها إلى السماء»، مردّدًا صدى عبارة: «البرج الذي تصل قمّته إلى السماء» المذكورة في سفر التكوين ١١. بالإضافة إلى ذلك، يرى التقليدُ المدراشي المبكر مثل the mekhilta de- rabbi yishmaʿel[1]، والتلمودُ البابلي (B. Ḥullin 89a)، وكذلك القدّيسُ المسيحي أفراهات[2] في القرن الرابع =أنّ آيات سفر إشعياء ١٤: ١٢- ١٥ تشير إلى نبوخذ نصر. (على الرغم من حقيقة أن الأخير قد جاء بعد وقت تأريخ سفر إشعياء بأكثر من قرن):

«كيف سَقطْتَ من السماء، يا هلال الفجر؟ كيف أُسقِطْتَ إلى الأرض يا هازم الأمم؟ قلتَ في نفسك: (سأصعدُ إلى السماء، وسأرفعُ عرشي فوق نجوم الله، وسأجلسُ على قمة جبل صافون حيث تجتمع الآلهة، سأصعد إلى أعالي

(1) Henze, Madness of King Nebuchadnezzar, p. 76.

(2) Henze, "Nebuchadnezzar's madness," p. 551.

السحاب، وأصيرُ مثل العليّ). ولكنكَ ستهبطُ إلى الهاوية وإلى أعماق الحفرة».

استكبار نبوخذ نصر المتمثل في سعيه للوصول إلى السماء، ورفضه سيادة الله من خلال الافتخار بعظمة مدينته بابل، يضعه في سلّة واحدة مع أولئك الذين أخطؤوا في قصة بناء «برج بابل». وبينما يربط معظم المفسِّرين بين مؤامرة برج بابل والنمرود (وليس نبوخذ نصر)، فإنّ التقاليد المدراشية مليئة بالمراوحة بين هذين الطاغيتين المتغطرسين[١]: فقد اختبر النمرود إبراهيم في الفرن، واختبر نبوخذ نصر رفقاء دانيال بالطريقة ذاتها، ويُقال إنّ كِلَا الطاغيتين مات عندما أدخل اللهُ حشرةً في رؤوسهم وعذّبهم بها، وهذان مجرّد مثالَيْن على قابلية المقارنة بين الشخصيتين[٢]. تأتي أهمية الربط بين نبوخذ نصر وقصة برج بابل من أحد المدراشيم الثلاثة التي حددها سبير بوصفها إحالات مركزية لفهم معنى آية سورة الأعراف، وخاصة الإشارة الواردة في مدراش (B. Sanhedrin

(١) من المثير للاهتمام أن شخصية نبوخذ نصر الثاني التاريخية كانت في الواقع صاحبة دور فعال في تجديد المبنى الذي يُعتقد أنه ألهَمَ الرواية التوراتية عن برج بابل. وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين المعاصرين «[في عهد نبوخذ نصر] تم إجراء عمل مكثف على مبنى إيتيمينانكي Etemenanki، وهو زقورة بابل التي وجدت طريقها إلى العهد القديم بوصفها برج بابل سيئ السمعة».
(Sack, s.v. 'Nebuchadnezzar', The Anchor Bible dictionary, vol. 4, p. 1059).

(٢) لمطالعة المزيد عن هذه المقارنة، انظر: Lowin, "Narratives of villainy," passim.

109b) والتي تتحدث عن جماعة من عصاة برج بابل الذين عُوقبوا بمسخهم قِردة.

أثبتنا حتى الآن وجود عقوبة إلهية للاستكبار تتمثّل في الطّرد والمَسْخ (أو العلل الجسدية الكريهة)، وربطها بقصة برج بابل. ومع ذلك، لا تتعلّق خطيئة الاستكبار مباشرةً بالاعتداء على يوم السبت. الرابط المحتمل بين التقاليد التي ذكرناها حتى الآن والرؤية القرآنية لليهود هو اتهام القرآن لهم بأنهم كانوا مستكبرين. كما ورد في سورة المائدة (آية ٨٢):

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

المعنى الضِّمْنِي هنا هو أن اليهود (والمشركين) مستكبرون، وهذه الخطيئة الأخيرة هي التي عُوقب عليها نبوخذ نصر في سفر دانيال ٤ وتفسيراته. في العصور القديمة المتأخّرة، استمر سفر دانيال ٤ في جذب انتباه المفسِّرين، اليهود والمسيحيين، الذين سنوضح الآن أن تفسيراتهم للقصة قد أثّرَت على التقاليد الإسلامية التي تناولتْ سفر دانيال على وجه الخصوص، وكذلك الإسرائيليات الأخرى بشكل عام.

٢/ ٣- سفر دانيال ٤ اليوناني القديم، ويعقوب السروجي، والمصادر الإسلامية المبكّرة:

كان لسفر دانيال تأثيرٌ كبيرٌ في العصور القديمة وما بعدها، خاصّةً بين القرّاء المسيحيين الذين اعتبروا أنّ المواد الأبوكاليبسية المنصوص عليها في الإصحاحات (٧- ١٢) والإشارات المحيرة إلى «ابن إنسان» (دانيال ٧: ١٣- ١٤) ذات صلة باللاهوت المسيحي. وهكذا تم تداول عدد مِن نُسَخ سفر دانيال في العصور القديمة. إحدى تلك النسخ هي النسخة اليونانية القديمة (OG)، والتي يبدو أنها تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، على الرغم من أنّ الأسبقية النسبية لهذه النسخة ولنسخة النصّ الماسوري لا تزالان موضع نقاش[١]. تثير هذه النسخة من سفر دانيال اهتمامنا؛ إِذْ إنّ الاختلاف الأكثر أهمية بينها وبين النسخة الماسورية يرِد في الآية (٣٠) من الإصحاح الرابع في النسخة اليونانية، حيث يتم وصف مسخ نبوخذ نصر الذي استمر طيلة سبع سنوات بالتفصيل[٢]. يقول النصّ الماسوري لسفر دانيال ببساطة:

---

(١) حول هذا النقاش، انظر: Newsom, "Now you see him, now you don't," p. 279 n. 36. يجادل نيوسوم Newsom بأن النسخة اليونانية القديمة لسفر دانيال OG Daniel متأخِّرة عن النصّ الماسوري MT، حيث يقوم بالدمج بين الفهم الحاخامي ما بعد النصّ الماسوري للقصة وسماتها.

(٢) ترجمة النسخة اليونانية القديمة مقتبسة من هنا:
http://ccat.sas.upenn.edu/nets/edition/40-daniel-nets.pdf

«وفور انتهاء هذه الرسالة، طُرِدَ نبوخذ نصر من بين الناس، وصار مجنونًا. وطفق يأكل العشب كالبقر، وابتلّ جسده بندى السماء؛ طال شَعره وتلبَّد حتى صار مثل ريش النسر، وطالت أظافره حتى صارت كمخالب الطيور» (آية: ٣٣).

على العكس من ذلك، تقدِّم النسخة اليونانية القديمة تفصيلًا لتذكُّر نبوخذ نصر للأحداث:

«أنا نبوخذ نصر ملك بابل، قُضِي عليَّ بالتحوّل لمدة سبع سنوات؛ لقد أطعموني العُشب مثل الثّور، وكنتُ آكل عشب الأرض الرخْص. وبعد سبع سنوات، تضرّعتُ من كلِّ روحي، وطلبتُ من الربّ إله السماء أن يكفِّر عن خطاياي، وتضرعتُ إلى إله الآلهة العظيم لكي يصفح عن جهلي. صار شَعري كأجنحة النسر، وأظافري كأظافر الأسد، تحوَّل جسدي وقلبي، كنتُ أهِيم عاريًا مع حيوانات البرّية. وقد رأيتُ حُلْمًا وهواجس شريرة ملكَتْ عَلَيَّ روحي، وبعد فترة أخذني نوم عميق وغشاني النعاس. وبنهاية السنوات السبع حان وقت خلاصي، ورُفِعَت خطاياي وجهلي أمام إله السماء، وتوسلتُ إلى إله الآلهة العظيم أن يغفر لي جهلي، وها هو ذا ملاكٌ يناديني من السماء: نبوخذ نصر، اخضع لإله السماء القدوس، ومجّد اسمه العليّ؛ وسيُعادُ إليك سلطانك على شعبك».

بالإضافة إلى ذلك، تؤكّد النسخة اليونانية القديمة على طبيعة الخطيئة التي ارتكبها نبوخذ نصر. بينما يقول النصّ الماسوري لسفر دانيال ٢٢: ٤ ببساطة: «أنت أيها الملك، فقد صرتَ عظيمًا وقويًّا، وجمعتَ ثروة عظيمة، ووصلَتْ قوّتك إلى السماء وسلطانك إلى أقاصي الأرض»، يقول النصّ المقابل في النسخة اليونانية القديمة: «لقد سموتَ، أنت أيها الملك، على كلّ البشر الذين على وجه الأرض، لقد امتلأ قلبك بالكِبْر والسلطان في وجه القدوس وملائكته». إنّ «كبر الملك وسلطانه في وجه القدوس وملائكته» إشارة واضحة إلى استكباره. وهكذا، لدينا في النسخة اليونانية القديمة من هذه القصة تأكيد على فترة الطَّرْد والمَسْخ، فضلًا عن خطيئة استكبار الملك.

المصدر الأكثر صِلَة بأغراض البحث هنا هو موعظة يعقوب السروجي (ت. ٥٢١) السريانية حول الإصحاح الرابع من سفر دانيال، وهي إعادة سرد للأحداث بتفصيل أكبر، والتي لا تؤكّد على مسخ نبوخذ نصر فحسب، بل تركّز مرارًا وتكرارًا على طرده. وهكذا، يذكرنا يعقوب السروجي بأنّ الملك «طُرِدَ من بين الناس... رفضوه وطردوه بعيدًا عن مملكته، الرجل المجنون الذي كفّ عن [أن يكون شخصًا عاديًّا]... [تم] طرده من مملكته». وفي إحدى الفقرات المفصّلة، كتب يعقوب السروجي قائلًا:

«لم يُطرد من [بين] الملوك فحسب، بل طُرد من [بين] الجنس البشري كلّه وعاش بين الحيوانات؛ لقد طرده إلى البرّية حتى لا يعود إنسانًا، وحتى

يدرك مقدرة الله. لقد حطّ من مكانته السامية، من مملكته ومكانته البشرية، وجعله في رُتْبَة حيوان البرّية، لكي لا يعود ملكًا ولا إنسانًا؛ لأنه لم يكن يعتبر نفسه بشرًا بل ملكًا، ولو علم حينما كان ملكًا أنه إنسان، لَمَا ابتعد عن مكانة البشر ليصبح حيوانًا...»[1].

يعتبر الاهتمام المتكرّر بعقوبة (الطرد) في هذا المصدر أمرًا مهمًّا؛ لأنه يبيّن أنّ طرد شخصٍ ممسوخ من المجتمع ليس مجرّد نتيجة طبيعية لمسخه: من الواضح أنّ اليهودي الممسوخ إلى قردٍ لن يستمر في الذهاب إلى العمل، والصلاة في المعبد، والمشاركة في الحياة الجماعية. ما تؤكّده عظة يعقوب السروجي هو الحقيقة القائلة بأنّ عقوبة الطرد لم تكن مجرّد نتيجة طبيعية مترتبة على المسخ، ولكنها جانب مهم ومستقلّ من العقاب الإلهيّ للمستكبِرين.

الأهمّ من ذلك بالنسبة إلى أغراض البحث أنّ نصّ يعقوب السروجي، أو التقاليد التي أثرته، يبدو أنه قد أثّر على المصنِّفين المسلمين الأوائل الذين تعاطوا مع سفر دانيال والمواضيع ذات الصلة به. يأتي الدليل من تفاصيل إعادة سرده لقصة مسخ نبوخذ نصر. يذكر النصّ الماسوري لسفر دانيال ٤ بإيجاز أنه عندما كان نبوخذ نصر معجبًا بعاصمته الإمبراطورية، جاء صوت من السماء

(1) Jacob of Serug's Homily on Daniel 4 is translated in Henze, Madness of King Nebuchadnezzar, Appendix Three, pp. 256ff.

معلنًا أنّ الحُلم سيصبح حقيقة الآن، وعند هذه النقطة مُسِخَ نبوخذ نصر وطُرِد.

ومع ذلك، يضيف يعقوب السروجي تفاصيل مهمّة إلى هذه الأحداث:

«أحاق بالمستهزئ عذابٌ سريع من القاضي؛ لأنّه كان متهورًا في حديثه. وبينما كانت كلمات المستهزئ ما زالت في فمه، **صفعه الربّ** لأنه سخر من الرجل البار الذي فسّر له حُلمه. وبينما هو لا يزال يتكلّم، تبدّل الشخص القوي، فهلك عقله، وانتهت فطنته، وانكسر رأيه، وأخذ يهذي بحماقة...»[(١)].

يروي كلٌّ من الطبري والثعلبي هذه القصة في مصنفاتهما، وقد أدرجَا أيضًا تلك التفاصيل المروية في روايتيهما. يدمج الثعلبي قصة دانيال في «جُبّ الأُسود» (الإصحاح السادس من سفر دانيال) مع قصة تفسير دانيال لحلم نبوخذ نصر (الإصحاح الرابع من السفر)، ويوضح أنّ جماعة من المجوس شعرت بالغيرة من دانيال فوشَتْ به هو ورفاقه اليهود -ومجموعهم ستة أشخاص- لدى الملك؛ فأُلقوا في جُبّ الأُسود لأنهم لا يدينون بديانة الملك. وعند عودته ليرى ما وقع لهم، لاحظ نبوخذ نصر شخصًا سابعًا معهم، وجميعهم في الأخدود لم يُصَب بأذى. كان الشخص السابع مَلَكًا من الملائكة «فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع، ومسخه اللهُ سبع سنين، ثم رُدّ إلى صورته ورُدّ عليه مُلكه»[(٢)].

---

(١) Henze, Madness of King Nebuchadnezzar, p. 263 (emphasis mine).

(٢) الثعلبي، قصص الأنبياء، ص٢٧٨: «فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع، ومسخه اللهُ سبع سنين» (Brinner trans., pp. 568-569; emphasis mine). يُورد الطبري (تاريخ الطبري، المجلد: ١، =

في موضع آخر، يُورد الثعلبي نُسخة غريبة من سفر دانيال ٤ (ومرّة أخرى، تتقاطع مع قصة أخرى من إصحاحات سفر دانيال، وهذه المرّة مع الإصحاح الثاني لسفر دانيال)، والتي تفصّل مسخ الملك وطرده تفصيلًا. كان تفسير دانيال لحلم نبوخذ نصر كما يأتي:

«وأمّا الشجرة التي رأيتَ والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أُمِر بقطعها؛ فيذهب مُلكك ويردّك اللهُ طائرًا نسرًا عظيمًا فتملك الطيور، ثم يردّك اللهُ ثورًا فتملك الدواب، ثم يردّك اللهُ أسدًا فتملك السباع والوحوش، وتكون منذ مسَخَك اللهُ على ما ذكرنا سبع سنين في ذلك كلّه، وقلبك قلب إنسان

=

ص٧١٧) روايةً أقصر من نفس القصة، بما في ذلك التفاصيل المتعلقة بصفع الملك نبوخذ نصر ومسخه. وقد روت الحاخامات (B. Nidda 30b) تقليدًا يقول إنّ جميع الأجنّة يتعلمون التوراة أثناء وجودهم في الرّحم، ولكن الملاك يصفعهم عند الولادة، مما يتسبب في نسيان كلّ المعرفة التي اكتسبوها. حقيقة أنّ الطبري والثعلبي يُدْرِجان هذه الفكرة على وجه التحديد فيما يتعلق بمسخ نبوخذ نصر يثبّت الحجة القائلة بأنهما يأخذان عن يعقوب السروجي (أو عن مصادره) في هذه الحالة، بدلًا من الرواية اليهودية المذكورة في التلمود. ومن الغريب أنّ الفكرة التلمودية القائلة بأن الصفعة يمكن أن تسبّب فقدان الذاكرة للشخص الذي يتلقاها، تنعكس في رواية الطبري عن دانيال ٢، حيث لا يطلب نبوخذ نصر تفسير حُلمه فحسب، بل سرد الحلم ذاته حيث «ضربني شيءٌ ما، وجعلني أنسى الحلم» (التاريخ، المجلد: ١، ص٦٦٧). وفي النصّ الماسوري لسفر دانيال ٢، لا يُذْكَر سبب عجز الملك عن تذكُّر أحداث الحلم.

حتى تعلم أنّ الله له مُلك السماوات والأرض وهو يقدر على الأرض ومَن عليها. وأمّا ما رأيت من أنّ أصلها قائم فإنّ مُلكك قائم»[١].

في تقديرنا، تُشير هذه الفقرة إلى أنه في حين أن فكرة العقوبة الإلهية التي تستلزم المسخ إلى حيوان قد خضعَت لتقلّبات التحوّل التي مرّت بها قصة سفر دانيال (٤) بين الثقافات واللغات، فإنّ التفاصيل الدقيقة لهذا المسخ (إلى أيّ نوع من الحيوان -أو الحيوانات- مُسِخَ الشخص المذنب) لم تكن ثابتة. في الواقع، فسّرَت المصادر الإسلامية المبكّرة فكرة المَسْخ، والتحوّل من كائن إلى آخر، التي وقعت لليهود، على أنها تشير إلى مجموعة واسعة من الحيوانات: (زواحف، ثعابين بحرية، كلاب... وغير ذلك). حتى القرآن في الآية (٦٠) من سورة المائدة يتحدّث عن الخنازير إلى جانب القِرَدة[٢].

مرونة هذا الموضوع في العصور القديمة المتأخّرة والقرون الأولى للإسلام هي أيضًا دليل واضح فيما يتعلّق بمسألة المسخ الإلهي، كما كان الأمر من قبل عندما تم الربط بين قصة (نابونيدوس) و(نبوخذ نصر). وهكذا، كان

---

(١) Al-Thaʿlabī, Qiṣaṣ al-anbiyāʾ, pp. 277-278 (Brinner trans., pp. 567-568).

(٢) لمطالعة ملخص مفصّل لمختلف الأشكال التي يمكن أن يتخذها المسخ، انظر:

Ch. Pellat, 'Maskh', EI2, s.v.

ولاستقصاء هذه الظاهرة في نصوص الأدب، مع إحالات إلى العديد من الحيوانات في هذا السياق، انظر: Traini, "La metamorphose".

اليعقوبي، على سبيل المثال، على دراية بالتفاصيل الأساسية للإصحاح الرابع من سفر دانيال، حيث ذكر ببساطة أنّ «الله حَوّل نبوخذ نصر إلى بهيمة أنثى. واستمر في العيش مع أجناس البهائم لمدة سبع سنوات، وبعد ذلك قيل إنه تاب، وثاب إلى الله (صاحب القدرة والسلطان) الذي أعاده إلى الحياة البشرية، ثم مات بعدها»[١]. ومن ناحية أخرى، نقل إلينا كلٌّ من الطبري والثعلبي روايةً تقول إنّ النبي إرميا قد مُسِخ (خلافًا لما يُروى من الأحداث في الكتاب المقدّس): «عندما أدرك النبيّ أن فتواه (هي التي جلبَت العذاب لليهود) ...فَقَدَ عقله وخالط الوحوش. ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطِئ الشام وقتَل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس»[٢]. ثمّة مثال آخر على قابلية هذه القصة للانتقال والتحوّل يأتي من الوصف الحاخامي لموت الإمبراطور تيتوس (حكم ٧٩- ٨١). فكما هي الحال مع الطغاة من أمثال النمرود ونبوخذ نصر، ربط الحاخامات تيتوس (مدمر الهيكل الثاني) بنبوخذ نصر (مدمر الهيكل الأول) وذكروا أنّ الله سَلّط عليه بعوضة (أو ذبابة)

(١) تاريخ اليعقوبي، المجلد الأول، ص٧١. يوصف مسخ نبوخذ نصر على النحو الآتي: وفي زمانه مسخ اللهُ بوختنصر بهيمة أنثى فلم يزل ينتقل في أجناس البهائم سبع سنين. وانظر أيضًا:
Ebied and Wickham, "Al-Ya'kubi's account".

(٢) Al-Ṭabarī, Taʾrīkh, vol. 1, p. 665. وفي رواية الثعلبي Al-Thaʿlabī, Qiṣaṣ al-anbiyāʾ, p. 274: «فسار إرمياء حتى خالط الوحوش، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس». Brinner trans., p. 560.

فاخترقت أُذنه، وأخذتْ بعد ذلك تطنّ لمدة سبع سنوات حتى جُنّ[١]. وهكذا، فإنّ العشر سنوات التي قضاها نابونيد من النفي والجنون (بحسب منتقديه)، تحوّلَت إلى طرد لمدة سبع سنوات وعلّة في «صلاة نابونيدوس»، كما أن السنوات السبع التي مُسخ فيها نبوخذ نصر إلى حيوان في سفر دانيال ٤، تشبه جنون تيتوس لمدة سبع سنوات في التلمود، وكفترة الجنون والتنازل عن العرش لبلشاصر، أو نفي إرميا [الاختياري] ومسخه [الزائف] في مصنفات التاريخ الإسلامية المبكّرة[٢].

(١) B. Gittin 56b.

(٢) يبدو لي أن السيرة الذاتية الساسانية للشاه كافادا الأول كانت أيضًا «مصبوغة» بسيرة نابونيدوس؛ حيث يُروى أنّ الحاكم السابق قد تخلّى عن الديانة التقليدية (الزرادشتية) لصالح بدعة مازدك (تمامًا كما تخلّى نابونيدوس عن مردوخ لصالح إله القمر)، مما أدّى إلى عزله مؤقتًا ونفيه (٤٩٦– ٨م)، قبل أن يرجع إلى منصب الشاه بعد التخلي عن تلك الهرطقة. وقد اقترح ليو Lewy ("الخلفية البابلية") أن الشخصية الأسطورية كيكاوس Kay Kāvūs كانت مبنية في جزء منها على قصص عن نابونيدوس ونبوخذ نصر (على سبيل المثال، تُنسب عملية التحوّل إلى نسر إلى كلٍّ من كيكاوس ونبوخذ نصر). وربما مزج مؤرخو العصر العباسي الذين يؤرِّخون لإيران قبل الإسلام مواد عن كافادا وكيكاوس (الذي كان يُدعى والده أيضًا كافادا)، وبالتالي قرؤوا في سيرة كافادا الأولى رواية من نوع روايات نابونيدوس حول التنازل المؤقت عن العرش بسبب الهرطقة. ومع ذلك، يبقى هذا مجرد تخمين. وحول هذا الموضوع، انظر أيضًا: Yarshater, "Iranian national history," pp. 447-448، الذي يعارض النتائج التي توصّل إليها ليو.

حتى نوجز ما بحثناه إلى الآن: عشية ظهور الإسلام، انتشرت روايات معروفة في الشرق الأدنى، تصف العقوبة الإلهية للخطاة بالمَسْخ والطّرد. وبينما كانت هناك نواة تاريخية لهذه الفكرة، إلّا أنّ القصة أُعيد سردها مرّات شتى، وغالبًا تتكرّر في حقّ عصاة مختلفين (تمامًا كما يمكن أن تتغير التفاصيل الدقيقة للمسخ من رواية إلى أخرى). ولعلّ أكثر هذه الروايات تأثيرًا هي قصة نبوخذ نصر، كما جاء في سفر دانيال ٤ وتفسيره، والتي يمكن إثبات أن بعض جوانبها قد أثرت في التقاليد الإسلامية. ومن المثير للاهتمام، أنّ اسم هذا الطاغية ارتبط في العصور القديمة المتأخّرة بقصة برج بابل، والتي أدّت -بحسب مدراش يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام- إلى مَسْخ المتآمرين قردة. بالإضافة إلى ذلك، ركّزت تفسيرات العصور القديمة المتأخّرة لخطيئة نبوخذ نصر على استكباره[١]، وهي تهمة موجهة ضمنيًّا إلى اليهود في القرآن.

(١) في تاريخه، يؤكّد الطبري أيضًا على أنّ هلاك نبوخذ نصر كان بسبب استكباره، ويردّد صدى قصة فرعون الذي (اسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) فهلك أيضًا، يقول الطبري: «ثمّ إنّ الله -تبارك وتعالى- حين أراد هلاك بختنصر... قال (نبوخذ نصر): فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا، لعلّي أطلع إليها فأقتل مَن فيها وأتخذها ملكًا فإني قد فرغتُ من الأرض ومَن فيها...». (المترجم).

على الرغم من كلّ هذا، فإننا لم نتعرّض حتى الآن للمَسْخ والطَّرْد كعقابٍ إلهيّ على انتهاك حُرْمة يوم السبت؛ لهذا، يجب علينا أن نتحوّل عن نبوخذ نصر إلى (حفيدته) وَشْتي Vashti.

٣- وَشْتي في العصور القديمة المتأخرة، واليهود المسوخون:

تظهر وَشْتي في سفر إستير في العهد القديم كملكة للإمبراطورية الفارسية في عهد الملك أحشويروش ("زركسيس"، حكم ٤٨٦- ٤٦٥). فقد أقام الأخير مأدبة على مدار ١٨٧ يومًا[(١)]، دُعي إليها كبار المسؤولين من جميع أنحاء الإمبراطورية (إستير ١: ٣- ١٠). وعند نهاية الاحتفالات، استدعَى أحشويروش ملكته للمثول أمامه وأمام بعض المسؤولين (الذين يحتمل أن يكونوا سُكَارى)؛ ليستعرض جمالها علانية (إستير ١: ١٠- ١١). رفضت وَشْتي أن تمتثل لأمر الملك؛ ولهذا السبب أوصى مستشارو الملك، من بين ما أشاروا عليه به، أن يعزل الملكة «وبأن يُعطِي المَلِك منصبَها الملكي لامرأةٍ أفضل منها» (إستير ١٩: ١). لم يذكر النصّ الماسوري ولا النُّسَخ اليونانية من سفر إستير ما حدث لها بالضبط. ومن غير المستبعد أن نفترض أنها أُعدمت، ولكن هذا غير مذكور في النصّ، ومن المحتمل أيضًا أنها (نُفِيَت) أو طُرِدَت من القصر بطريقةٍ ما. وقد تم اقتراح هذا التفسير الأخير، على سبيل المثال لا الحصر، بواسطة سلبيسس سيفيروس Sulpicius Severus (ت. ٤٢٥م)، حيث يقول: «كانت وَشْتي أكثر حكمة من الملك الأحمق؛ ولأنها خجلَت جدًّا من أن

(١) في سفر إستير ١: ٤، استمرت الاحتفالات مدة ١٨٠ يومًا، وليس ١٨٧ يومًا كما يشير الكاتب. (المترجم).

تعرض نفسها أمام عيون الرجال، رفضَت الامتثال لأوامره. وقد ثار عقله الهمجي بسبب هذه الإهانة، **وأبعدها سواء من علاقة زواجه بها ومن القصر**»[١]. بمعنى آخر، تم طرد وَشْتي.

فلماذا رفضت وَشْتي أن تطيع أمر الملك؟ تختلف الإجابات المقترحة لهذا السؤال، من العصور القديمة إلى الحديثة، اختلافًا كبيرًا. ما يهمّنا هنا هو أن الحاخامات في العصور القديمة المتأخّرة تبنّوا وجهة نظر حيال وَشْتي أقلّ تسامحًا مما فعله المسيحي سلبيسس سيفيروس، وأضافوا إلى سيرتها المذكورة في العهد القديم العديد من التفاصيل ذات الصِّلة بنا. أولًا، ذكروا أنها حفيدة نبوخذ نصر[٢]، وعلى هذا النحو، فقد ارتبطت ذاتها بالشّر. ثانيًا، يُقال إن وَشْتي الشريرة رفضَت الاستجابة لطلب المَلِك لأنّ مَلاكًا تسبب في مَسْخ جسدها على نحو محرج: بحسب أحد الحاخامات، فقد أُصيبت بالجُذَام، وبحسب ما ذكره آخر، صار لها ذيلٌ[٣]. وبعبارة أخرى، مُسِخَت وَشْتي جزئيًّا، أو أنها عانت مما يسميه روبن بـ«عواقب جسدية كريهة». تشير حقيقة أن مَلاكًا هو الذي أحدث هذه التحوّلات إلى أنّ مصدرها كان إلهيًّا. لماذا إذن قرّر اللهُ أن يعاقِب وَشْتي بهذه الطريقة؟ مرّة أخرى، يقدّم الحاخامات في العصور القديمة المتأخِّرة

(1) Sulpicius Severus, Sacred history, chapter XII.

(2) Shemesh, “The metamorphosis of Vashti,” p. 364.

(3) B. Megilla 12b.

الجواب: في نفس السياق (B. Megilla 12b) يُقال لنا إنّ الله عاقب وَشْتي لأنها أجبرت النساء اليهوديات على تدنيس يوم السبت[١].

بالجمع بين هذه المصادر، عشية ظهور الإسلام، ارتبطت وَشْتي بخطيئة الاعتداء على يوم السبت، ولهذا السبب عُوقبت إلهيًّا من خلال الطّرد والمسخ (أو أصيبَتْ بأضرار جسدية كريهة).

(١) «اعتادت وشتي الملعونة أن تأخذ بنات إسرائيل وتجرّدهن من ملابسهن وتجعلهن يعملن في يوم السبت». ومن المثير للاهتمام، أن مصادر مدراشية أخرى تقارن وشتي بالخنزير، الأمر الذي يذكرنا بالمجموعة الثانية (بعد "القردة") من العصاة الممسوخين الوارد ذكرهم في الآية (٦٠) من سورة المائدة. الحيوانات المدرَجة في آية سورة المائدة (٦٠). حول وشتي كخنزير، انظر:

Esther Rabba (Vilna edition), 4: 5 .

وبشكل أعمّ، انظر:

Shemesh, "Metamorphosis of Vashti," p. 362 and n. 25; and Kahn, Echoes of Eden, pp. 82-3.

٤- المسخ والطرد الاختياري:

من بين حالات المسخ المذكورة أعلاه، يبرز النبيّ إرميا كحالة استثنائية لسببين: **أولًا**: لا يوجد تفسير مشابه في الكتاب المقدّس أو تفاسيره للتفسير القائل بأنّ إرميا «فَقَدَ عقله وخالط وحوش البرّية»، بل يُقال: إنّ النبي إرميا قد أُلقِي في أخدود (إرميا ٣٨: ٦)، بسبب رفض نبوءاته حول الدّمار الوشيك الذي سيحلّ بالقدس والهيكل، ولكن هذه الحالة ليست حالة مسخ وطرد. فقد يكون المصطلح (أخدود)، الذي تم ترجمته (جُبّ) في الترجمات العربية لهذه الآية وجوفا gūvā في الآرامية =قد تم الخلط بينه وبين «عرين الأسود» gov / gubba المذكور في سفر دانيال (٦)، (الآيات ١٣، ١٧ و٢١)، حيث «خالَط» دانيال وحوش البرية، وخرج سالمًا على نحوٍ معجز. ومع ذلك، فإنّ تجربتي دانيال وإرميا مختلفتان تمامًا: فبينما تم إلقاء الأول في عرين الأسود كعِقاب، يبدو أنّ الأخير خالَط وحوش البرية كنوع من طقوس الحزن أو الندم، حيث أدرك إرميا أنّ أفعاله (عن غير قصد) تتحمّل اللوم جزئيًّا عن دمار القدس والهيكل.

ثانيًا: وفيما يتعلّق بهذه النقطة الأخيرة تحديدًا، فإنّ جنون إرميا ومسخه الزائف (اختياريان)، أو لم يكونَا على الأقل نتيجة لعقاب إلهيّ. في القسم التالي، سوف نتعقّب التاريخ الطويل جدًّا للطرد والمَسْخ الاختياري في ثقافات الشرق الأدنى، وهو ما يكمل المناقشة السابقة عن العقوبات الإلهية من هذا

النوع، والتي ستظهر -في النهاية- أنها وثيقة الصلة لفهم تحوّل اليهود إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[سورة الأعراف: ١٦٦].

٤/ ١ - ملحمة جلجامش:

في دراسة أجراها عن (جنون) نبوخذ نصر المذكور في سفر دانيال ٤: ٥٣[(١)]، ذكر ماتياس هينز Matthias Henze أنّ هذه القصة تستند إلى أخبار أنسنة إنكيدو الواردة في ملحمة جلجامش. يوصف إنكيدو بمصطلحات شبه بشرية، بأنه «إنسان متوحّش» ربّته الحيوانات[(٢)]، ثم أصبح إنسانًا تدريجيًّا، ثم اندمج في المجتمع البشري حتى أصبح رفيق جلجامش وأقرب أصدقائه. بحسب هينز، فإنّ الحطّ من مرتبة نبوخذ نصر من مَلِك فخور إلى حيوان مطرود كان مقصودًا بوعيٍ من أجلِ السخرية من المسار السَّلْبي الذي سلكه المَلِك، حيث رجع من نفس المسار الذي تقدّم فيه إنكيدو. ما لم يذكره هينز هو أنّ ملحمة جلجامش تحتوي على نقطة أخرى يمكن مقارنتها مع قصة نبوخذ نصر المذكورة في سفر دانيال (٤): عندما يموت إنكيدو في نهاية اللوح، يذهل جلجامش عن نفسه، وفي إيماءات حِداد واضحة، يمزق شَعْره وملابسه، وبعد

(١) Henze, Madness of King Nebuchadnezzar.

(٢) Gardner and Maier, Gilgamesh, p. 68 (Tablet I, ll. 35-41): «كان جسده كلّه مغطى بشَعْر كثيف، ورأسه مغطى بشَعْر مثل شَعر المرأة، وقد نمَت خصلات شعره بغزارة... ولم يكن يعرف الناس ولا المنازل... كان يتغذى مع الغزلان على العشب، ويشرب من أحواض المياه مع الحيوانات البرية...».

ذلك بوقت قصير، نجد جلجامش يطوف البرّية، ويرتدي جلود الحيوانات، أي: ينأى بنفسه عن المجتمع البشري ويختار أن يَمسخ نفسه[١].

يُشار إلى إزالة الشَّعْر كطقسِ حِداد قديم في الشرق الأدنى في سفر التثنية ١٤: ١ (بشكل سلبي)، وفي إرميا ٤١: ٥ (بشكل محايد)، من بين العديد من إشارات الكتاب المقدّس الأخرى لهذه الممارسة[٢]. في مرحلةٍ ما، دمجت اليهودية الطقوس المخالفة على وجه التحديد في شروطها الخاصّة بالحِداد الطقسي: يجب عدم حلق شَعْر الرأس واللحية لمدة ٣٠ يومًا (بالعبرية: sheloshim)[٣]. إنّ تَرْك شعر المرء يطول حتى يسترسل يستحضر بامتياز كلًّا

(١) (Gardner and Maier, Gilgamesh, pp. 187-188) Tablet VIII, column ii, ll. 18-22، حيث يبكي جلجامش على إنكيدو قائلًا: «مثل نسر حمتُ حوله، مثل لبؤة فقدَت صغارها، أخبُّ ذهابًا وإيابًا. وأخذ يبكي ويقطع خصلات شَعره، يمزق ثيابه الجميلة ويلقيها بعيدًا مثل الأشياء النجسة».

لاحقًا (p. 190, Tablet VIII, column iii, ll. 4-5)، يضيف جلجامش: «بعدك، سأغطي جسدي بشَعرٍ غير محلوق، سأرتدي جلد كلب وأجوب البرية». وأنا مدين بهذه النقطة الأخيرة إلى نوجا أيالي دارشان Noga Ayali-Darshan. وقد أُعيد النظر في أصول الشرق الأدنى القديمة التي رفدت قصة مسخ نبوخذ نصر في السنوات الأخيرة. انظر:

Avalos, "Nebuchadnezzar's affliction," as well as the studies with which Avalos engages in the article .

(٢) مثل سفر أشعياء ١٥: ٢. ٢٢: ١٢، سفر إرميا ١٦: ٦ ٤١: ٥؛ ٤٨: ٣٧، سفر عاموس ٨: ١٠، وسفر أيوب ١: ٢٠.

(3) See, for example, B. Moʿed Qattan 27b for such mourning rituals.

من الرجل الوحشي المُشْعِر المذكور في العهد القديم، عيسو، من ناحية (انظر: سفر التكوين ٢٥: ٢٥)، وممارسة «النّذْر لله» من ناحية أخرى (راجع سفر العدد: ٦، ومواضع أخرى). وسوف ننتقل الآن إلى هذا المثال الأخير الذي قد يشكّل مثالًا آخر على الطّرد الاختياري للذات.

٤/ ٢- النذريون والركابيون:

يستلزم لكي تصبح نذيرًا -يفيد الجذر اللغوي (ن، ذ، ر) «الانفصال» أو «الامتناع»- أن تمتنع عن شرب النبيذ، وأن تترك شَعْرك ينمو، وتتجنّب ملامسة الموتى. وتمتد الفترة الافتراضية، التي يلتزم بها الشخص الذي يتعهّد أن يكون نذيرًا دون تحديد إطار زمني، إلى ٣٠ يومًا(١)، وهو ما يعادل نفس الفترة التي يدع فيها الشخص الذي في حالة حِداد شَعْره ينمو (وبالمناسبة، هي نفس الفترة التي أطعم اللهُ خلالها بني إسرائيل اللحم كما في سفر العدد ١١: ٢٠). ومع ذلك، فإنّ النذير ليس في حالة حداد: ونظرًا للحقيقة القائلة بأنّ الذبيحة الأولى التي يقدمها النذير عند انتهاء فترته هي ذبيحة خطية (سفر العدد ٦: ١١)، فقد تم اقتراح أن هذه الممارسة كانت مرتبطة في الأصل بالتوبة(٢).

---

(١) m. Nazir 3: 1; B. Nazir 16a. يوضح المفسر الشهير راشي Rashi (فرنسا، ت. ١١٠٥) أن مدة ٣٠ يومًا هي الحد الأدنى لفترة نمو الشَّعر في البرية.

(Heb. peraʿ; as per the Nazirite stipulation in Numbers 6: 5, on which Rashi is commenting) .

(٢) جادل ميلغروم Milgrom (“Sin-offering or purification-offering?,” pp. 237-239) بأنّ هذا كان في الواقع ذبيحة تطهُّر، وليس ذبيحة خطيئة. وفي حين أن حججه قد تم قبولها على نطاق واسع (راجع على سبيل المثال: Diamond, “An Israelite self-offering,” p. 10)، أجمع الحاخامات على تفسير كلمة ḥaṭṭāt على أنها ذبيحة خطيئة، وهو ما أوقعهم في حيرة من أمرهم: ما هي الخطيئة التي يتحتم على النذير أن يكفّر عنها؟ كان الجواب الشائع هو أنّ الالتزام بشروط النذر كان خطيئة في حدّ ذاته، وكان على النذير أن يكفّر عنها، ومنطق الاستدلال الدائري يجعل هذه الإجابة غير مقنعة.

التعهّد بالامتناع عن شرب النبيذ كان مرتبطًا أيضًا بالركابيين، الذين تجنّبوا بشكلٍ عامّ حياة الحضر وعاشوا كبدوٍ. حيث يصفهم سفر إرميا ٣٥: ٦- ١١ على النحو الآتي:

«فقالوا: نحن لا نشرب خمرًا؛ لأنّ جدّنا يوناداب بن ركاب أوصانا فقال: لا تشربوا أنتم ولا بنوكم خمرًا أبدًا، لا تبنوا بيتًا لتسكنوا فيه، ولا تبذروا بذرًا، ولا تزرعوا كَرْمًا، لا تعملوا هذه الأمور، لكن اسكنوا في خيام طيلة حياتكم حتى تعيشوا زمنًا طويلًا في الأرض التي أنتم متغرّبون فيها. وقد أطعنا كلّ ما أوصانا به يوناداب بن ركاب جدّنا، ولم نشرب نحن ولا نساؤنا ولا بنونا ولا بناتنا خمرًا طيلة حياتنا، ولم نبنِ بيوتًا لنسكن فيها، وليس لدينا كرُوم أو حقول أو محاصيل. عشنا في خيام وأطعنا كلّ ما أوصانا جدّنا يوناداب به. ولكن عندما صعد نبوخذ نصر ملك بابل على أرض يهوذا، قلنا: لندخل. ولذا، جئنا إلى مدينة القدس بسبب جيش البابليين وجيش الآراميين، فسَكنّا في القدس».

من المثير للاهتمام أنّ الركابيين الذين نفوا أنفسهم بعيدًا وتجنّبوا شرب النبيذ أُجبروا على كَسْر تقاليدهم التي تقتضي العيش في البرّية بواسطة نبوخذ نصر. وربما يوجد هنا نوع من العدالة الشعرية تتمثّل في طرد نبوخذ نصر قسرًا إلى البرية كما في سفر دانيال ٦٠: ٤[١]. على أيّة حال، تمامًا مثلما ارتبط شرب

(١) لاحظ أيضًا أنه في حالة اختيار إرميا الاختلاط بالحيوانات، فإنّ سبب الدمار الذي تسببت أفعاله في انسحاب إرميا هو نبوخذ نصر.

النبيذ بتشكيل المجتمع المتحضّر[١]، يرتبط التخلّي عن شربه بالانفصال عن المجتمع.

ربما كان شمشون هو أشهر النذريّين. ومن المثير للاهتمام، أنه على الرغم من أنه كان يُتوقع منه بصفته نذيرًا أن يمتنع عن ملامسة الموتى وعن شُرب النبيذ، إلا أن قصته تشير عَرَضًا إلى أن هذه الصفات لم تتحقّق فيه (سفر القضاة: ١٤)، فقط كان نموّ شَعره هو الذي يدلّ على مكانته (والمصدر الإلهي لقوّته). وكما قال أحدُ الباحثين مشيرًا إلى قصة شمشون: «من الواضح أن حلاقة الشَّعْر هو الشّرط الأكثر أهمية[٢]، إِذْ إنّ نموّ شعر الشخص لفترة طويلة كان بمثابة علامة ظاهرية ومميزة لحالة النّذر»[٣]. تتجلى مركزية (الشَّعر) في التعهدات النذرية من خلال الطقوس الأخيرة التي يقوم بها النذير: قَصّ شعره في

(١) على هذا النحو، عندما يخرج نوح من الفلك في أعقاب الطوفان الكبير، ليعيد إعمار الأرض ويعيد تأسيس الحياة المتحضرة عليها، فإنّ أول ما يفعله هو زرع الكروم (سفر التكوين ٢٠: ٩).

(٢) بحسب سفر القضاة: ١٣، عندما بشّر الملاك المرأة العاقر بولادة شمشون، خاطبها محذرًا: «والآن احذري من أن تشربي نبيذًا أو شرابًا مسكرًا. ولا تأكلي شيئًا نجسًا. وها أنت حبلى فعلًا، وستلدين ابنًا. لكن لا ينبغي أن تلمس شفرة حلاقة رأسه، إِذْ سيكون الصبي نذيرًا لله». وقارن مع شعيرة الحلق أو التقصير عند التحلّل في المناسك. (المترجم).

(٣) Greenstein, "The riddle of Samson," p. 251. في الواقع، فسر هيرمان جنكل Hermann Gunkel (Simson," pp. 42-43") قصة شمشون على أنها ترمز إلى التنافس بين الثقافة والطبيعة، أي: بين المتحضر و(البري).

احتفالية ووضعه على «أضحية قربان السلام»، وعندها يتحلّل من حالة النذر. وهكذا، فإنّ إزالة النذير لشَعْره المكرس عن عمد تمثّل ذروة قداسته. على النقيض من ذلك، تشير لفظة «قورُّدو» qurrudu الأكادية (الموضحة أعلاه) إلى التساقط اللاإرادي لخصلات الشَّعْر، وبالتالي قد تشير إلى درجة أقلّ من القداسة[١]. ويمكن أن يكون هذا الأمر وثيق الصلة بآية سورة الأعراف إذا قرّرنا إعادة تفسير كلمة: (قردة) بوصفها تعني شيئًا آخر غير (القرود).

تأتي الصلات المحتملة الأخرى بين الممارسة النذرية والحديث القرآني عن تحول اليهود إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِئِينَ﴾ من التفسيرات القديمة لمفردة: le- zārā، بمعنى: (كريه) التي تشير إلى عقاب «خُطاة المَنّ» الواردة في سفر العدد ١١: ١٩ – ٢٠. بحسب أحد المصادر السابقة على الإسلام، فإن كلمة: (le- zārā)، تعني: le- azhara (إنذار)[٢]. ثمة تفسير قديم آخر لكلمة: le- zārā يجعلها le-

(١) بالإضافة إلى ذلك، ربما يجدر بنا النظر في أنه مثلما يرتبط الإمساك عن شرب النبيذ بـ(القداسة) في هذه السياقات، فإنّ استهلاك النبيذ كان يعاقب عليه بحسب بعض التقاليد الإسلامية المبكّرة بالمسخ إلى قردة وخنازير، انظر: (Rubin, "Apes, pigs and the Islamic identity," pp. 99ff.).

(٢) Rubin, "Become ye apes repelled!," p. 32. ومن المثير للاهتمام أنه في حديثه المقتضب عن قصة شمشون، يشير الطبري إلى مفردة (نذير) بمعنى منذر warner، وربما يعكس ذلك فهمًا قديمًا للنذريين بوصفهم منذرين (Taʾrīkh, vol. 1, pp. 794-795; Perlman trans. pp. 171-172). ولمطالعة مناقشة عن هذا التلاعب بالمفردات انظر على سبيل المثال: Rippin, "The Muslim Samson," p. 244

zārīm (مفردها: zār) بمعنى: (غرباء)[١]. والكلمة العبرية: (zār) تعادل اللفظة الأكادية "nakru"، وكلاهما يحمل معنى (الغربة) و(الغريب) و(الاغتراب). الأهم من ذلك، أنّ هذا يجعل الإسرائيليين المعاقبين يماشون الجماعات التي اختارت الاغتراب طواعية مثل الركابيين، وربما أيضًا النذريّين الرافضين لشرب النبيذ؛ لأنه، كما يقول هينز: «يُشار إلى الجماعات التي تعيش خارج المراكز الحضرية المتحضّرة مثل البدو أو ساكني الجبال بوصفهم غرباء (nakru بالأكادية)»[٢]. وفقًا لذلك الفهم، ربما عوقب خُطاة المَنّ بالإبعاد عن المجتمع. ولنتذكر أن أحد المدراشيم الثلاثة التي ذكرها شباير يتحدّث عن اليهود الذين عاشوا في بلدة بابلية وعُوقبوا بسبب صيد الأسماك يوم السبت بإبعادهم عن المجتمع (B. Qiddushin 72a[٣]).

(1) Rubin, "Become ye apes repelled!," p. 33 .

(2) Henze, Madness of King Nebuchadnezzar, p. 94.

(٣) ثمة نصّ ترجومي أيضًا ذو صلة بهذا التفسير يجعل مفردة: le-zārā كمفردة: le-rīḥūq، وهو مصطلح يرى روبن أنه يعني «المقت الشديد» (Rubin, "Become ye apes repelled!," p. 32) ولكنه يعني حرفيًّا «أبعده بعيدًا»، (حول هذه المسألة انظر: rīḥūq (Jastrow, Dictionary, p. 1474, s.v. . يدعم ردّ المعاجم العربية الكلاسيكية كلمة: (خاسئ) إلى الجذر اللغوي: (ط، ر، د) و (ب، ع، د)، والأخيرة في صيغة أفعل، فكرة أن ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ يمكن أن تعني: «قردة مطرودة بعيدًا عن المجتمع» (للمصادر: انظر حاشية رقم ٢، ص٨ أعلاه).

وسواء أكانت هذه النقاط تعتبر ذات صلة بفهمنا لآيات سورة الأعراف أم لا[١]، فمن الواضح أنه إلى جانب العقوبة الإلهية من خلال المَسْخ والطَّرْد، كان هناك من ينأون بأنفسهم طواعية عن مراكز الحضر، ويحاكون بعض جوانب المسخ -سواء عن طريق إطالة شعرهم، أو ارتداء جلود الحيوانات، أو (مخالطة وحوش البرية)- إمّا كطقوس حِداد أو كطقوس للتكفير عن الذنوب. وهكذا، مثلما يمكن أن يعاقب الله الخطاة من خلال مَسْخهم حيوانات فعلًا وطردهم من المجتمع، يمكن للنادمين أن يعاقبوا أنفسهم بالتأثر بالمَسْخ والطرد. الفكرة التي يجب لفت الانتباه إليها هنا هي أنّ هذه الأفكار كانت معروفة جيدًا في الدوائر اليهودية والمسيحية خلال العصور القديمة المتأخّرة: تحتلّ الممارسة النذرية أطروحة كاملة في المشنا وكِلَا التلمودين، كما كانت قصة شمشون -وقتئذ وكما هي الحال الآن- معروفة على نطاق واسع حتى بين الأطفال، وكانت ملحمة جلجامش من بين الأعمال الأدبية الأكثر تأثيرًا في العالم القديم، وتركت بصماتها على الكتاب المقدّس، والأدب المانوي، وسيرة الإسكندر، وألف ليلة وليلة، وغيرها من أجناس الأدب العالمي[٢].

---

(١) يجب أن نلاحظ أن مصطلح (خَاسِئِين) اسم فاعل. وهكذا، على الرغم من تقديمه باستمرار على أنه اسم مفعول ("مطرود"، "مرفوض"، "مُبعَد")، إلا أن الكلمة نفسها تشير إلى أن العاصي الممسوخ اختار إبعاد نفسه.

(2) Dalley, Legacy of Mesopotamia, pp. 43, 57, 73-74, 101, 165, and 170-171; and eadem, "Gilgamesh in the Arabian Nights."

ومع ذلك، عشية ظهور الإسلام، يبدو أنّ قصة مسخ نبوخذ نصر لمدة سبع سنوات، التي تم سردها في سفر دانيال ٤، كان لها التأثير المباشر على سكان الشرق الأدنى القديم ممن يتطلّعون إلى التوبة من خلال المسخ والطرد، كما سنرى الآن.

٤/ ٣- نبوخذ نصر: شخصية شريرة أم قدوة؟

يمثّل مسخ نبوخذ نصر الموصوف في سفر دانيال ٤ على وجه الخصوص، والأخبار المروية في سفر دانيال: الإصحاحات (١- ٦) بشكلٍ عام، مشكلة للقرّاء اليهود: تصف أخبار نبوخذ نصر -الطاغية الشرير الذي دَمّر الهيكل ونهب محتوياته ودنّسه، ونفَى وقتل أعدادًا لا تُحْصَى من اليهود، والمعروف في المصادر الحاخامية بـ«الشرير» (ha- rasha)- كملك عاقل، أكرم دانيال ورفاقه، وكفّر بالفعل، بحسب سفر دانيال ٤، عن خطاياه واستردّ حُكمه بعد سبع سنوات من المسخ والطرد. فهل تاب نبوخذ نصر؟ أظهر ديفيد ساتران David Satran أنّ الحاخامات والمسيحيين الأوائل قدّموا إجابات مختلفة لهذا السؤال[١]. في حين وجد الحاخامات إستراتيجيات مختلفة للتوفيق بين النصّ الصريح لسفر دانيال ٤، بما في ذلك -ومن بين خيارات أخرى- استبعاد التوبة المفترضة للطاغية باعتبارها خدعة، فإنّ المسيحيين، وخاصّة مِن عهدِ أفرام السرياني (ت. ٣٧٣) فصاعدًا، قَبِلوا نبوخذ نصر باعتباره تائبًا حقيقيًّا[٢].

بالطبع، ثمة استثناءات موجودة لدى الجانبين: اليهودي والمسيحي. على سبيل المثال، التزمت الملكة اليهودية هيلينا الحديابية (ت. ٥٠ أو ٥٦م) بفترة

(1) Satran, "Early Christian and Jewish interpretation." See also Wills, The Jewish novel, pp. 48-49.
(2) See also, Henze, "Nebuchadnezzar's madness," who builds on Satran's findings.

السبع السنوات كنذيرة[١]، وهو ما قد يمثّل اقتداءً بالمدة التي قضاها نبوخذ نصر متحوّلًا ممسوخًا. وفي القرن الرابع الميلادي، تابع القدّيس المسيحي أفراهات الحاخامات في تفسيرهم لمسخ نبوخذ نصر بأنه عقاب إلهيّ وليس عملية إعادة تأهيل للحكم مرة أخرى[٢]. مثّلَت قراءة أفرام قطيعة حقيقية مع التفسير الحاخامي لهذه القصة؛ حيث قارن بين طرد نبوخذ نصر وعيشه بين الوحوش وطرد آدم من الجنة: «يشبه ملك بابل آدمَ ملك الكون: كلاهما وقف ضدّ الربّ الواحد فحطّ من أقدارهم، وجعلهم عصاة، وطردهم بعيدًا»[٣].

ألهَمَ الخيارُ التفسيري الجديد الذي قال به أفرام الجماعاتِ الزاهدةَ التي شكّلت بدايات الرهبانية، مثل النُّسّاك السوريين في أواخر القرن الرابع/ الخامس، الذين حذوا حذو نبوخذ نصر[٤]. في (الرسالة السريانية إلى ساكني الجبال)، تتلقّى مجموعةٌ من النسّاك الزاهدين من ساكني البرّية التشجيعَ من مؤلفٍ مجهول (يُعتقد أنه أفرام نفسه)، على النحو الآتي:

---

(١) m. Nazir 3: 6, B. Nazir 19b.

(٢) Henze, “Nebuchadnezzar’s madness,” p. 556.

(٣) Ibid., p. 559.

(٤) يقول هينز (المرجع السابق، ص ٥٦٤): «أصبح النُّسّاك مثل الحيوانات البرية، يجوبون السهول في عزلة تامّة، يأكلون أيّ أعشاب أو جذور يجدونها... ينامون على الأرض... وكثيرًا ما يتم مقارنة حياة النسّاك بحيوانات البرية: فهم يطيلون شعرهم وأظافرهم، وتصبح الحيوانات رفقتهم الوحيدة».

«لقد ذهب نبوخذ نصر أيضًا، تمامًا مثلكم، إلى الصحراء من أجل التوبة... ويجب أن تتوغّلوا في البرّية مثله... لقد أصبحتم متساوِين مع الحيوانات بدلًا من التحدّث مع الملائكة، وتأكلون العشب بدلًا من الطعام»[١].

وهكذا، عشية ظهور الإسلام، اتّخذ النسّاك السوريون وغيرهم من زاهدي الشرق الأدنى مسخ نبوخذ نصر المنصوص عليه في سفر دانيال ٤ كقدوة لمسارهم الروحي إلى التوبة، من خلال اللجوء إلى البرية و(التشبه بالحيوانات). بشكلٍ حاسم، يشير هذا إلى أنّ معنى سفر دانيال ٤ ذاته كان يمرّ أيضًا بتحوّل؛ حيث أعاد هؤلاء الزاهدون النظر إلى نبوخذ نصر الذي عاقبه الله على أنه تائب متطوّع، يسير على خُطى جلجامش (عندما كان في حالة حِداد)، وخُطى إرميا في المصادر الإسلامية، وخُطى النذريين التائبين، وخُطى الركابيين النابذين للحضر، وغيرهم. يشير هذا التحوّل في التفسير إلى أنّ هذه الفئات كانت متداخلة، ومن المفترض أن التحوّل يمكن أن يسير في الاتجاه الآخر: وبناء عليه، فإنّ اليهود الذين عاشوا في قرية بابلية وذهبوا للصيد في يوم السبت و«طردوا» من قِبل المجتمع (B. Qiddushin 72a)، يمكن النظر إليهم على أنهم طُرِدوا كعقاب إلهيّ، وهو أحد الأمثلة ذات الصِّلة بالموضوع.

(١) Ibid., pp. 565-566.

ينتج أيضًا عن الجدل اليهودي-المسيحي حول صدق توبة نبوخذ نصر احتمالية أنّ القرآن والتقليد الإسلامي المبكِّر كانَا على عِلْم بهذا الجدل. ينقل لنا الثعلبي خبرًا سُئِل بموجبه وهب بن منبه (ت. ٧٢٨) عمّا إذا كان نبوخذ نصر قد مات مؤمنًا أم لا. فردّ وهب، الذي توقّع استنتاجات ساتران قبل ألف عام، قائلًا: «وجدتُ أهلَ الكتاب قد اختلفوا فيه؛ فمنهم من قال: مات مؤمنًا، ومنهم من قال: مات كافرًا؛ لأنه حرق بيتَ المقدس وكُتُبَ الله وقتلَ الأنبياء، فغضب اللهُ تعالى عليه[١] غضبًا شديدًا ولم يقبل توبته»[٢]. ربما كان القرآن أيضًا مدركًا لهذا الجدل: ينصّ القرآن في الآية (٦١) من سورة المائدة، والتي تأتي مباشرة بعد الإشارة إلى أولئك الذين عاقبهم الله بمسخهم (قردة وخنازير وعبد الطاغوت)، على ما يأتي: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾. فهل يمكن أن يشتبك القرآن بشكلٍ ضمني في الجدل اليهودي-المسيحي حول نبوخذ نصر من خلال تفضيل التفسير اليهودي لسفر

(١) تقول الكلمات العربية: (غضب الله عليه غضبًا شديدًا)، باستخدام نفس العبارة الواردة في آية سورة المائدة التي تقول: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾.

(٢) Al-Thaʿlabī, Qiṣaṣ al-anbiyāʾ, p. 278 (Brinner trans., p. 568). يستشهد روبن ("Apes, pigs and the Islamic identity," p. 101) بأحاديث نبوية تقارن بين الأمويين والقردة والخنازير لقيامهم بتدنيس منبر الرسول، واستخدامهم له في خطاباتهم العامة. إنّ تدنيس المنبر النبوي هنا يوازي تدنيس نبوخذ نصر للهيكل ومحتوياته، مع معاقبة المخطئين في كلتا الحالتين بالمَسْخ.

دانيال ٤؟ إذا أخذنا في الاعتبار السياق (اليهودي) لآيات سورة الأعراف (١٦٣- ١٦٦) وآية سورة المائدة (٦٠)، قد يكون مثل هذا الاقتراح جديرًا بالدراسة.

خاتمة:

في هذه الورقة، حاولت المساهمة في فهمنا للفكرة القرآنية القائلة بأنّ الله عاقب جماعة من اليهود الذين اعتدوا في السبت بمسخهم إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾. وكان أساس دراستنا هو افتراض أنّ كلتا الكلمتين في هذه العبارة لهما صلة وثيقة بتفسيرها. حتى الآن، باستثناء نقاشات روبن، ركّز الباحثون عند مقاربة هذه المسألة على العنصر الأول (قردة) فحسب. وهذا يسبّب مشكلة لسببين: **أولًا**، لأنه، وكما رأينا في العديد من الأمثلة من ثقافة الشرق الأدنى، غالبًا ما يتم تقديم (المسخ) و(الطرد) كعقوبة إلهية متلازمة وغير منفصلة عن بعضها[1]. **ثانيًا**، لأنه، كما هو موضح أعلاه، فإنّ التفاصيل الدقيقة للمسخ يمكن أن تتغير. لا يشير القرآن إلى (القردة) على وجه التحديد، ولكنه يشير أيضًا إلى (الخنازير) في سياق ذي صلة، بينما تسمح الاختلافات التي رأيناها في قصص المسخ والطرد بتغير التفاصيل: في إحدى الحالات، مسخ اللهُ نبوخذ نصر إلى أكثر من حيوان بحسب رواية واحدة. وبالتالي، فإن محاولات تتبع جانب واحد للعقاب: (القردة)، وهذا الجانب بمفرده، هي محاولات غير مكتملة ومضلّلة إلى حدٍّ ما.

(١) لاحظ أنه في التقاليد الإسلامية المبكرة أيضًا، غالبًا ما تقترن عقوبة المسخ بالخسف، في إشارة إلى ابتلاع الأرض للخطاة، وهي نسخة متطرفة من إبعادهم عن المجتمع. حول هذه المسألة، انظر:
Rubin, "Apes, pigs and the Islamic identity," p. 91 .

في النقاش السابق، لم أجادل لصالح خيار واحد وحاسم لأصول العبارة القرآنية. ومع ذلك، على الرغم من أنّني لم أجد دليلًا قاطعًا يعود إلى حضارة ما قبل الإسلام التي كانت بمثابة مثال لمسخ اليهود الذين انتهكوا حُرمة السبت، إلا أنّنا أخذنا حصّتنا العادلة من الأدلة المتمثّلة في أمثلة من ثقافات الشرق الأدنى في عصور ما قبل الإسلام والإسلام المبكّر، حيث احتلّت عقوبة المسخ والطرد (سواء الإلهية أو الاختيارية) مكانة بارزة. بالإضافة إلى ذلك، هذه الأمثلة منصوص عليها في بعض النصوص الأكثر تأثيرًا في تاريخ الشرق الأدنى، والتي نُوقش بعضها بقوّة من قِبَل اليهود والمسيحيين عشيّة ظهور الإسلام، والتي يبدو أنّ المسلمين الأوائل (وربّما القرآن نفسه) كانوا على دراية بها.

من خلال توسيع إطار البحث في أصول الجملة القرآنية، تمكّنّا من اقتراح ثلاثة تفسيرات بديلة لمعنى العبارة: **أولًا**، اعتبرنا أن كلمة قورُّدو الأكادية، وتعني: (تساقط خصلات الشَّعر)، أصلًا إيتيمولوجيًّا بديلًا لكلمة قردة؛ لأن الكلمتين تشتركان في الجذر السامي ذاته، ولأن جميع الأمثلة تقريبًا ما قبل الإسلام تستلزم الإزالة/ التقديس/ الإفراط في نموّ الشَّعر.

ثانيًا، ناقشنا مدراشيم العصور القديمة المتأخّرة حول الملكة وَشْتي، التي عوقبتْ إلهيًّا لتسبّبها في الاعتداء على السّبت من خلال طردها ومسخها. كما أن ارتباطها بـ(الخنازير) يَشِي أيضًا بوجود صلة من نوعٍ ما بـ(المسخ) القرآني[(١)].

ثالثًا، وهو الأهمّ، قُمْنَا بتسليط الضوء على الرواية (الروايات) المعروفة عن نابونيدوس ونبوخذ نصر، والتي تم سردها عدّة مرات من المنظورين: المؤيّد والمعارض للبابليين، والتي تم قصّ تفاصيلها ولصقها في تراجم شخصيات مهمّة أخرى في تاريخ الشرق الأدنى (كافادا، إرميا، بلشاصر، تيتوس، إلخ). فتن العقاب الإلهي لنبوخذ نصر، الذي مُسخ وطُرد، اليهود والمسيحيين في العصور القديمة المتأخّرة، حيث اختلفوا في تفسيراتهم للقصة، وهو ما أدّى إلى زيادة الاهتمام بها فحسب. حتى إنّ وهب بن منبه كان يعلم أنّ اليهود والمسيحيين اختصموا في معنى القصة وأهميتها.

يمكن أن يُنظر إلى قصة نبوخذ نصر في سفر دانيال ٤ ببساطة كمثال للعقاب الإلهي على الاستكبار من خلال المسخ والطرد. ولكن يمكن أيضًا اقتراح علاقة إبداعية –وتخمينية بالضرورة– بين سفر دانيال ٤ والقرآن. وبناء على ذلك، فقد تحوّل نبوخذ نصر إلى أكثر من حيوان واحد (كما ورد في

(١) أضع كلمة: (مسخ) هنا بين مزدوجتين لأنّ القرآن نفسه لم يصف تحول اليهود بكلمة: (مسخ) وقد ظهرت الكلمة بعد قرون. في هذا الصدد، انظر: Rubin, "Apes, pigs and the Islamic identity," p. 90.

المصادر الإسلامية)، وأنّ آية سورة المائدة (٦٠) تشير إليه بالتحديد، حيث: القردة، والخنازير، وعبد الطاغوت (انظر الإصحاح الثالث من سفر دانيال الذي يشير إلى نبوخذ نصر كخادم للأصنام) تنطبق كلّها عليه. وبالمثل، فإنّ عقوبة «العذاب البئيس» المذكورة في الآية (١٦٥) من سورة الأعراف توازي «العِلّة الخبيثة» المذكورة في صلاة نبونيد، بينما يعيد (ط، ر، د) نبوخذ نصر المذكور في سفر دانيال ٤ إلى الأذهان الجذر العربي الذي يُعتبر مكافئًا لكلمة: (خسأ) في جميع المعاجم ما قبل الحديثة تقريبًا. أخيرًا، قد تكون الإشارة إلى المؤمن المخادع في آية سورة المائدة (٦١) محاولة للتأثير في الجدل اليهودي-المسيحي حول سفر دانيال ٤[١]. وحتى لو كان هذا التفسير يحمل الأدلة أكثر مما تحتمل، فيمكننا على الأقل أن نقترح أنّ رواج قصة نبوخذ نصر عشية ظهور الإسلام أسهمت في صياغة (مفردات) يمكن توظيفها في سرد قصص أخرى عن هذا النوع من العقاب الإلهيّ.

ومهما يكن الأمر، يمكن للمرء أنْ يحدس أنّ قصة عن الخطاة اليهود الذين تحولوا إلى ﴿قِرَدَةً خَٰسِئِينَ﴾ ستبدو مألوفة لمؤمن موحّد في الشرق

(١) لاحظ أيضًا أنه على الرغم من أن قصة برج بابل في الكتاب المقدّس وصفت في الأصل بأنها «عمل جماعي» (بدون قائد)، إلا أنها ارتبطت بطاغية واحد (النمرود أو نبوخذ نصر)، وهكذا يمكن إعادة تصور مسخ وطرد شخص واحد (نبوخذ نصر) وتطبيقه على «عمل جماعة» (المعتدين على السبت). هذا، بالطبع، يوسّع نطاق الأدلة، ولكن ما يجب الاعتراف به هو أن الدليل أكثر مرونة بكثير مما تم تقديمه سابقًا.

الأدنى في القرن السابع. كما أنّ مسخ الخطاة وطردهم، سواء بعقاب إلهيّ أو طواعية، سيكون له صدى لدى الجمهور الذي سمع أصداء ملحمة جلجامش الشهيرة، وسفر دانيال ٤، أو صلاة نبونيد، وعقاب وَشْتي، وبدايات الرهبانية، والنذريين، وغير ذلك، وجميعهم كان رائجًا في الشرق الأدنى عشية ظهور الإسلام. ضمن هذا الإطار البحثي الأوسع، يجب فهم الآيات القرآنية حول هذا الموضوع[١].

❀ ❀ ❀

(١) يقول ابن عاشور في التعليق على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[البقرة: ٦٥]: « هذه من جملة الأخبار التي ذكرها الله تعالى تذكيرًا لليهود بما أتاه سلفهم من الاستخفاف بأوامر الله تعالى وبما عرض في خلال ذلك من الزواجر والرحمة والتوبة، وإنما خالف في حكاية هاته القصة أسلوب حكاية ما تقدمها وما تلاها من ذكر (إذ) [البقرة: ٦٣] المؤذِنة بزمن القصة والمشعِرة بتحقّق وقوعها إلى قوله هنا: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ لمعنى بديع هو من وجوه إعجاز القرآن، وذلك أن هذه القصة المُشار إليها بهذه الآية ليست من القصص التي تضمنتها كتب التوراة مثل القصص الأخرى المأتي في حكايتها بكلمة (إذ) لأنها متواترة عندهم، بل هذه القصة وقعت في زمن داود عليه السلام، فكانت غير مسطورة في الأسفار القديمة وكانت معروفة لعلمائهم وأحبارهم، فأطلع اللهُ تعالى نبيّه ﷺ عليها وتلك معجزة غيبية، وأوحى إليه في لفظها ما يؤذِن بأن العلم بها أخفى من العلم بالقصص الأخرى، فأسند الأمر فيها لعلمهم إذْ قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾». التحرير والتنوير (١/ ٥٤٣). (قسم الترجمات).

Abbreviations
B. Babylonian Talmud
m. Mishna

BIBLIOGRAPHY:

Adang, Muslim writers =

Adang, C. Muslim writers on Judaism and the Hebrew Bible: from Ibn Rabban to Ibn Ḥazm. Leiden, 1996.

Avalos, “Nebuchadnezzar’s affliction” =

Avalos, H. “Nebuchadnezzar’s affliction: new Mesopotamian parallels for Daniel 4.” Journal of Biblical Literature 133iii (2014): 497- 507.

Collins, Daniel =

Collins, J. J. Daniel. Minneapolis, 1993.

Cook, “Ibn Qutayba and the monkeys” =

Cook, M. “Ibn Qutayba and the monkeys.” Studia Islamica 89 (1999): 43- 74.

Cross, “Fragments” =

Cross, F. M. “Fragments of the prayer of Nabonidus.” IEJ 34 (1984): 260- 264.

Dalley, “Gilgamesh in the Arabian Nights” =

Dalley, S. “Gilgamesh in the Arabian Nights.” JRAS Third Series 1i (1991): 1- 17.

Dalley, The legacy of Mesopotamia =

Dalley, S. The legacy of Mesopotamia. Oxford, 1998.

Diamond, “An Israelite self- offering” =

Diamond, E. “An Israelite self- offering in the priestly code: a new interpretation on the Nazirite.” Jewish Quarterly Review 88i/ ii (1997): 1- 18.

Ebied and Wickham, “Al- Ya‘kubi’s account” =

Ebied, R. Y. and L.R. Wickham. “Al- Ya‘kubi’s account of the Israelite prophets and kings.”

JNES 29 (1970): 80- 98.

Emanuel, From bards to biblical exegetes =

Emanuel, D. From bards to biblical exegetes: a close reading and intertextual analysis of selected Exodus psalms. Eugene OR, 2012.

Ferguson, “Nebuchadnezzar, Gilgamesh, and the ‘Babylonian Job’”=

Ferguson, P. “Nebuchadnezzar, Gilgamesh, and the ‘Babylonian Job’.” Journal of the Evangelical Theological Society 37iii (1994): 321- 331.

Firestone, “Apes and the Sabbath problem =

Firestone, R. “Apes and the Sabbath problem.” In C. Schapkow, Sh. Shepkaru, and A. T. Levenson, eds. The Festschrift Darkhei Noam: the Jews of Arab lands. Leiden, 2015, pp. 26- 48.

Flint, “The Daniel tradition at Qumran (1997)” =

Flint, P. W. “The Daniel tradition at Qumran.” In C. A. Evans and P. W. Flint, eds. Eschatology, messianism and the Dead Sea Scrolls. Grand Rapids MI, 1997, pp. 41- 60.

Flint, “The Daniel tradition at Qumran (2001)” =

Flint, P. W. “The Daniel tradition at Qumran.” In J. J. Collins and P. W. Flint, eds. The Book of Daniel: composition and reflection vol. 2. Leiden, 2001, pp. 329- 367.

Gadd, “The Harran inscriptions of Nabonidus” =

Gadd, C. J. “The Harran inscriptions of Nabonidus.” Anatolian Studies 8 (1958): 35- 92.

Gardner and Maier, Gilgamesh =

Gardner J. and J. Maier. Gilgamesh: translated from the Sin-Leqi- Unninni version. New York, 1985.

Greenstein, E. “The riddle of Samson” =

Greenstein, E. “The riddle of Samson.” Prooftexts 1iii (1981): 237- 60.

Gunkel, H., “Simson“ =

Gunkel, H. “Simson.” Reden und Aufsätze. Göttingen, 1913.

Henze, Madness of King Nebuchadnezzar =

Henze, M. The madness of King Nebuchadnezzar: the ancient Near Eastern origins and early history of interpretation of Daniel 4. Leiden, 1999.

Henze, “Nebuchadnezzar’s madness” =

Henze, M. “Nebuchadnezzar’s madness (Daniel 4) in Syriac literature.” In J. J. Collins and P. W. Flint, eds. The Book of Daniel: composition and reception. Volume Two. Leiden, 2001, pp. 550- 572.

Hirschfeld, New researches =

Hirschfeld, H. New researches into the composition and exegesis of the Qoran. London, 1902. Ibn Manẓūr, Lisān al- ʿArab = Ibn Manẓūr. Lisān al- ʿArab. Beirut, 1967. Al- Jāḥiẓ, Kitāb al- ḥayawān = Al- Jāḥiẓ, ʿAmr ibn Baḥr. Kitāb al- ḥayawān. ʿAbd al- Salām Muḥammad Hārūn, ed. Cairo, 1966.

Jastrow, Dictionary =

Jastrow, M. A dictionary of the targumim, the Talmud Babli and Yerushalmi, and the midrashic literature. New York, 1903.

Jawharī, Ṣiḥāḥ =

Jawharī, Ismāʿīl b. Ḥammād. Al- Ṣiḥāḥ. Beirut, 1999.

Jeffrey, Foreign vocabulary =

Jeffrey, A. The foreign vocabulary of the Qoran. Baroda, 1938.

The Jewish Publication Society Bible =

The Jewish Publication Society Bible. Philadelphia, 1917.

Kahn, Echoes of Eden =

Kahn, A. D. Echoes of Eden: Sefer Vayikra. Jerusalem, 2013.

Lewy, "The Babylonian background" =

Lewy, H. "The Babylonian background of the Kay Kāūs legend." Archiv Orientalni 17ii (1949): 28- 109.

Lichtenstaedter, "And become ye accursed apes!" =

Lichtenstaedter, I. "And become ye accursed apes!" JSAI 14 (1991): 153- 175. Reprinted in A. Rippin, ed. The Qur'an: style and contents. Aldershot, 2001, pp. 60- 83.

Livingstone, "Taimāʾ and Nabonidus: it's a small world" =

Livingstone, A. "Taimāʾ and Nabonidus: it's a small world." In P. Bienkowski, C. Mee, and E. Slater, eds. Writing in ancient Near Eastern society: essays in honor of Alan R. Millard. New York, 2005, pp. 29- 40.

Lowin, "Narratives of villainy" =

Lowin, S., "Narratives of villainy: Titus, Nebuchadnezzar, and Nimrod in the ḥadīth and the midrash aggadah." In P. M. Cobb, ed. The lineaments of Islam: studies in honor of Fred McGraw Donner. Leiden, 2012, pp. 261- 96.

Milgrom, "Sin- offering or purification- offering?" =

Milgrom, J. "Sin- offering or purification- offering?" Vetus Testamentum 21 (1971): 237- 239.

Newsom, C. A., "Now you see him, now you don't" =

Newsom, C. A. "Now you see him, now you don't: Nabonidus in Jewish memory." In D. V. Edelman and E. Ben Zvi, eds.

Remembering biblical figures in the late Persian and early Hellenistic periods. Oxford, 2013, pp. 270- 282.

Pritchard, The ancient Near East = Pritchard, J. B. The ancient Near East: volume two. A new anthology of texts and pictures. Princeton, 1958.

Pritchard, Ancient Near Eastern texts = Pritchard, J. B. Ancient Near Eastern texts relating to the Old Testament. Princeton, 1969.

Reynolds, The Qur'an and its biblical subtext =

Reynolds, G. S. The Qur'an and its biblical subtext. London: Routledge, 2010.

Rippin, "The Muslim Samson" =

Rippin, A. "The Muslim Samson: medieval, modern, and scholarly interpretations." BSOAS 71ii (2008): 239- 53.

Rubin, "Apes, pigs and the Islamic identity" =

Rubin, U. "Apes, pigs and the Islamic identity." Israel Oriental Studies 17 (1997): 89- 105.

Rubin, "Become ye apes repelled!"=

Rubin, U. "'Become ye apes repelled!' (Qur'an 7: 166): The transformation of the Israelites into apes and its biblical and midrashic background." BSOAS 78i (2015): 25- 40.

Sack, "Nebuchadnezzar" =

Sack, R. H. "Nebuchadnezzar." In D. N. Freedman, ed. The Anchor Bible dictionary. New York, 1992, vol. 4, pp. 1058- 1059.

Satran, "Early Christian and Jewish interpretation" =

Satran, D. "Early Christian and Jewish interpretation of the fourth chapter of the book of Daniel." Unpublished Ph.D. thesis, Hebrew University of Jerusalem, 1985. Schaudig, Die Inschriften

Nabonids von Babylon und Kyros' des Großen = Schaudig, H. Die Inschriften Nabonids von Babylon und Kyros' des Großen samt den in ihrem Umfeld entstandenen Tendezschriften: Textausgabe und Grammatik. Münster, 2001.

Shemesh, "Metamorphosis of Vashti" =

Shemesh, Y. "The metamorphosis of Vashti: bible, aggadah, feminist exegesis, and modern feminist midrash." Beit Mikra: Journal for the Study of the Bible and its World 171 (2002): 356-372 [in Hebrew].

Silverstein, "Original meaning" =

Silverstein, A. J. "On the original meaning of the Qurʾānic term al- shayṭān al- rajīm." JAOS 133i (2013): 21- 33.

Speyer, Die biblischen Erzählungen =

Speyer, H. Die biblischen Erzählungen im Qoran. Gräfenhainichen, 1931.

Sulpicius Severus, Sacred history =

Sulpicius Severus, Sacred history. (Trans. A. Roberts) In Ph. Schaff and H. Wace, ed. Nicene and post- Nicene fathers, second series, volume 11. Buffalo, NY, 1894.

Al- Ṭabarī, Taʾrīkh =

Al- Ṭabarī. Taʾrīkh al- rusul wa- 'l- mulūk. Leiden, 1879- 1901.

English translation: Perlmann, M., The History of Al- Tabari: Volume IV. The Ancient Kingdoms. Albany, New York, 1987.

Al- Thaʿlabī, Qiṣaṣ al- anbiyāʾ =

Al- Thaʿlabī. Qiṣaṣ al- anbiyāʾ al- musammā bi- ʿarāʾis al- majālis. Beirut, 2014. English translation: ʿArāʾis al- majālis fī qiṣaṣ al- anbiyāʾ. Of lives of the Prophets as recounted by Abū Isḥāq Aḥmad ibn Muḥammad ibn Ibrāhīm al- Thaʿlabī. Translated and annotated by W. M. Brinner. Leiden, 2002.

Torrey, Jewish foundation =

Torrey, C. C. The Jewish foundation of Islam. New York, 1933.

Traini, “La metamorphose” =

Traini, R. “La métamorphose des êtres humains en brutes d’après quelques textes arabes.” In F. de Jong, ed. Miscellanea Arabica et islamica, Dissertationes in Academia Ultrajectina prolatae anno MCMXC. Leuven, 1993, pp. 90- 134.

Wills, The Jewish novel =

Wills, L. M. The Jewish novel in the ancient world. Ithaca NY, 1995.

Al- Yaʿqūbī, Taʾrīkh =

Al- Yaʿqūbī. Taʾrīkh al- Yaʿqūbī. Leiden, 1969 (first edition, 1883).

Yāqūt al- Ḥamawī, Muʿjam al- buldān =

Yāqūt al- Ḥamawī. Muʿjam al- buldān. Beirut, 1995.

Yarshater, “Iranian national history” =

Yarshater, E. “Iranian national history.” In E. Yarshater, ed. The Cambridge history of Iran. Vol. 3(i). Cambridge, 1983, pp. 359-477.